قادة فتح الاندلس
في مرحلة استثمار الفوز

١ - طريف بن مالك
٢ - عبد الأعلى بن موسى بن نصير
٣ - عبدالله بن موسى بن نصير

اللواء الركن محمود شيت خطاب

عضو المجمع



فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي

الجزء الثاني - المجلد الاربعون

١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م



اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
فـــي 22 / ذو الحجة / 1445 هـ
المـوافـق 28 / 06 / 2024 م

سرمد حاتم شكر السامرائـــي

قادة فتح الاندلس
في مرحلة استثمار الفوز

١ ـ طريف بن مالك
٢ ـ عبد الأعلى بن موسى بن نصير
٣ ـ عبدالله بن موسى بن نصير

اللواء الركن محمود شيت خطاب
(عضو المجمع)

طريف بن مالك
فاتح جزيرة طريف[١] والجزيرة الخضراء[٢]

نسبه وأيامه الأولى

هو طَرِيف بن مالك من البربر ، يكنى : أبا زُرْعَـة (٣) ، وهو طريف

---

(١) جزيرة طريف : جزيرة صغيرة في بحر الزقاق (مضيق جبل طارق) ، وطريف بليـدة في جنوبي الاندلس ، انظر تقويـم البلـدان (١٨٨) ، والجزيرة والمدينة منسوبتان الى طريف بن مالك الذى فتحهما ، انظر تقويم البلدان (١٦٦) .

(٢) الجزيرة الخضراء : مدينة أمام سبتة من بر الاندلس الجنوبي ، وهى طيبة نزهة ، توسطت مدن الساحل ، واشرفت بسورها على البحر ، ومرساها احسن المراسى للجواز ، وارضها ارض زرع وضرع ، وبخارجها المياه الجارية والبساتين النضيرة ، ونهرها يعرف بوادى العسل ، وهى من اجمع المدن لخير البر والبحر ، وانظر تقويم البلدان (١٧٢ ـ ١٧٣) ومعجم البلدان (٩٩/٣) .

(٣) البيان المغرب (٥/٢) ونفح الطيب (٢٥٣/١) .

البربريّ مولى موسى بن نُصَير (٤) ، الذي تُنسب اليه جزيرة طريف (٥) .

وطريف ينتسب إلى قبيلة بَرْغَواطة البربريّة (٦) من البرانس ، ومن المعلوم أنّ البربر قسمان : البرانس ، والبتر ، وكانت قبيلة بَرَغْوَاطَة تسكن الاقليم المواجه للبحر المحيط شمال وادي أم ربيع (٧) ، حول منطقة مدينة الرباط الحاليّة .

وسنجد أنّ طريفاً ليس من قبيلة بَرَغْوَاطَة حسب ، بل هو رئيسها ، وكان له دور كبير في تلك القبيلة ، من ناحيتي : العقيدة ، والقتال ، أي في توجيهها الفكري ، وفي قيادتها في ميادين القتال .

وتذهب بعض المصادر ، إلى أنّه كان من أهل اليمن ، فهو أبو زُرْعَة طَريف بن مالك المَعَافري (٨) ، الاسم طبق الكنية (٩) ، والمعَافِر باليمن والأندلس ومصر (١٠) . والأصل من اليمن لأنّهم سَبَأ . وهو طريف بن

(٤) موسى بن نصير : انظر سيرته المفصلة في : قادة فتح المغرب العربى (٢٢١/١ – ٣٠٩) .

(٥) نفح الطيب (٢٢٩/١ و ٢٥٣ و ٢٨٥) .

(٦) فتوح مصر والمغرب والاندلس (٢٥٤) – ابن عبد الحكم – نشر شارل تورى (Torrey) – لندن – ١٩٢٠م .

(٧) تاريخ المغرب العربى (٤٣) ، والاقليم حول منطقة مدينة الرباط الحالية .

(٨) المعافرى : نسبة الى يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، انظر جمهرة انساب العرب (٤١٨) .

(٩) نفح الطيب (٢٥٤/١) برواية الرازى .

(١٠) جمهرة أنساب العرب (٤١٨ .

مالك النَّخَعِيّ (١١) ، والنَّخَعُ بن عامر من سَبَأ (١٢) ايضاً ، وسَبَأ من اليمن .

ومن الواضح ، أنّ طريفاً ليس عربياً ، فهو ليس من المعافر ولا من النَّخَع ، وهو بعد ذلك ليس من اليمن ، بل هو بربريّ من المغرب ، ظهر أثره في البربر على عهد موسى بن نُصير ، وظلّ أثره فيهم بعد عهد موسى بن نُصير ، ولم يبرح المغرب في العهدين ، وظلّ مع البربر واحداً منهم حتى توفّاه الله .

ويبدو أنّ والد طريف ، وهو مالك ، كان مسلماً ، بدليل اسمه العربي الاسلاميّ ، مما يدلّ على أنّ طريفاً ولد ونشأ وترعرع في بيت إسلاميّ ، ولعلّ تدينه لفت إليه الأنظار ، بالاضافة إلى مزاياه وكفاياته الأخرى ، وكان قربه من موسى بن نُصيرقد أتاح له الفرصة السانحة لتوّلي منصبٍ قياديّ ، فنجح في منصبه القياديّ نجاحاً ظاهرا . وقد كان من أقرب المقرّبين إلى موسى ابن نُصير من البربر : طارق بن زياد ، وطريف بن مالك ، فاستعان بهما في قيادة البربر ، وبخاصة في مهمة فتح الأندلس .

وأخبار طريف في أيامه الأولى نادرة جداً ، وقد برز لأوّل مرة في توليته قيادة على جماعة من البربر ، لتحقيق استطلاع في الأندلس ، وربما بقي طريف مجهولاً لو لم يتَسنّم هذا المنصب القياديّ ، الذي سترد أخباره وشيكاً .

---

(١١) ابن خلدون (٢٥٤/٤) ونفح الطيب (٢٣٣/١) نقلا عن ابن خلدون .

(١٢) النخع بن عامر بن علة بن جلد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، انظر جمهرة أنساب العرب (٤١٢ ـ ٤١٤) .

الفاتــح

بدأ موسى بن نُصَيْر استشارته للخلافة في دمشق ، وكان الخليفة القائم حينذاك هو الوليد بن عبد الملك بن مروان (٨٦ هـ — ٩٦ هـ) ، بعد اتصالاته بيُلْيَان (١٣) صاحب مدينة سَبْتَة أو قبل اتصالاته بيليان وقد تردّدت الخلافة باديءَ الأمر في الموافقة على القيام بمثل هذه العمليّة الكبيرة : فتح الأندلس ، خوفاً على المسلمين من ركوب البحر ، ومن صعوبة القتال بحراً وبراً ، وهي تعلم أنّ خبرة المسلمين والعرب منهم بخاصة في فنون القتال البحري قليلة جداً .

فقد كتب موسى بن نُصَير إلى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، يخبره بالذي دعاه إليه يُلْيَان (من فتح الأندلس) من أمر الأندلس ، ويستأذنه في اقتحامها . وكتب إليه الوليد : «أن خُضْها بالسّرايا ، حتى ترى وتختبر شأنها ، ولا تُغَرِّر بالمسلمين في بحرٍ شديد الأهوال » ، وراجعه موسى : « أنّه ليس ببحرٍ زَخّار ، وإنّما هو خليج منه يبين للناظر ماخلفه » ، فكتب إليه : « وإن كان ، فلا بدّ من اختباره بالسرايا قبل اقتحامه » (١٤) .

وأرسل موسى في شهر رمضان من سنة إحدى وتسعين الهجريّة (آب : أغسطس — أيلول : سبتمبر ٧١٠ م) سرية استطلاعيّة إلى جنوبيّ الأندلس ، مؤلفة من خمسمائة مجاهد ، منهم مئة فارس ، والباقي من المشاة ، بقيادة أبي زُرْعَة طريف بن مالك ، وهو مسلم من البربر (١٥) .

---

(١٣) انظر ماجاء عن يليان وعن اتصالاته بموسى بن نصير وطارق بن زياد ، في كتاب : قادة فتح الاندلس — مخطوط .

(١٤) نفح الطيب (١/٢٥٣) .

(١٥) نفح الطيب (١/١٦٠ و ٢٢٩ و ٢٣٣ و ٢٥٣) والروض المعطار (٨و١٢٧) والبيان المغرب (٢/٥) .

وعبر هذا الجيش الزُّقاق ، والزُّقاق اسم يطلق أحياناً على المضيق بين الأندلس وشمالي إفريقيَّة (١٦) ، من سَبْتَة ، بسفن يليان أو غيره ، ونزل في جزيرة بالوما ((Isladelus Palomas)) في الجانب الاسباني ، وعُرفت هذه الجزيرة فيما بعد باسم هذا القائد : جزيرة طريف (Tarifa) ومن ذلك الموقع ، الذي اتّخذه طريف وسريته الاستطلاعيّة القتاليّة قاعدة أماميّة متقدِّمة ، قام طريف وسريته بسلسلة من الغارات السريعة على السّاحل الأندلسيّ الجنوبي بارشاد يليان وصحبه ، وأغار على الجزيرة الخضراء ، فأصاب غنيمة كبيرة ، ورجع سالماً في رمضان أيضاً سنة إحدى وتسعين الهجريّة ، فلما رأى الناس ذلك تسارعوا إلى الغزو (١٨) ، وتشجعوا على فتح الأندلس . وخفّت قوّة من أنصار يليان وأبناء غيطشة لعون المسلمين ، كما قامت تلك القوّة بحراسة موقع إنزال المسلمين في جنوبيّ الأندلس ، وكانت نتيجة الغارة الاستطلاعية التي قادها طريف ، أنّ المسلمين غنموا مغانم كثيرة وسبياً عديداً ، وقوبلوا بالاكرام والترحيب، وشهدوا كثيراً من دلائل خصب الجزيرة وغناها ، وعادوا في أمن وسلام . وقصّ قائدهم طريف علىموسى نتائج رحلته ، فاستبشر بالفتح ، وجدّ في أهبة الفتح ، كما تشجع موسى وأخذ يستعدّ لارسال حملة عظيمة تقوم بالفتح المستدام (١٩) .

لقد كانت مهمّة سرية طريف ، مهمة استطلاعية ، هدفها الحصول على المعلومات عن طبيعة الأرض والسكان واساليب قتالهم ودرجة ضراوتهم ،

---

(١٦) تاريخ الاندلس (١٣٠) نص ابن الشباط ، والروض المعطار (٨٣ و ١٢٧) ومقدمة ابن خلدون (٤٢٧/١) ونفح الطيب (١٢٧/١ و ١٢٩ و ١٤٥ و ٢٢٩ و ٢٣٢ و ٢٤٥ و ٢٥٢) .

(١٧) دولة الاسلام في الاندلس (٤٠/١) وفجر الاندلس ((٦٧) ، وانظر الفتح والاستقرار العربى والاسلامى في شمال افريقيا والاندلس (١٦٢) .

(١٨) ابن الاثير (٥٦١/٤) .

(١٩) S aavedra . op . Cit . pp. 64

وتفاصيل قيادتهم ، ومبلغ الثِّقة المتبادلة بين القيادة والسكان ، ومبلغ حرص السكان والقيادة على الدفاع عن أرضهم (٢٠) ، وكان لقيام طريف بعدّة غارات في المنطقة دون أن يلاقي أيّة مقاومة (٢١) ، نتيجة مهمة واحدة ، هي : عدم حرص القيادة والسكان على الدفاع عن أرضهم كما ينبغي ، وهي نتيجة على درجة عالية من الأهمية بالنسبة لخطط الفتح وبالنسبة للمسلمين الفاتحين .

ولكن مهمّة سرية طريف الاستطلاعية ، لم تقتصر على هذه الناحية من جمع المعلومات عن أهل الأندلس وطبيعة أرضهم حسب ، بل تتعدّاها إلى استطلاع حقيقة نوايا يليان ومَن معه تجاه السلطة القائمة في الأندلس والمتمثلة بالملك لذريق ونظامه ، وحقيقة نواياه ومَن معه تجاه المسلمين الفاتحين . وقد اثبتت سرية طريف الاستطلاعية ، أنّ يليان ورجاله يحقدون على لذريق ، ولا يتأخرون عن التّشبث بكلّ وسيلة ممكنة للقضاء عليه ، وأنهم من أجل التنفيس عن حقدهم عملياً ، يضعون كلّ طاقاتهم المادية والمعنوية للتعاون مع المسلمين في ميدان القتال . وكان التأكد من تلك النوايا ، ضرورياً لاستكمال الاعداد للفتح ، وقد تأكد نلوسى بن نُصير وطارق بن زياد ، أنّ يليان ومَن يشايعه صادقون في معاونتهم وتعاونهم مع المسلمين الفاتحين ، وأنّ غرضهم هو التعاون والمعاونة وليس خدعة بل حقيقة لاغبار عليها .

وهذا مثال على مبلغ حرص المسؤلين يومئذ ، خلفاء وقادة ، على أرواح

---

(٢٠) الاستطلاع نوعان : الاستطلاع بدون قتال ، بافراد قلائل ، والاستطلاع بالقتال ، بقوة قادرة على القتال ، تستطيع الحصول على المعلومات بالقتال ، كسرية طريف ، انظر كتب التدريب التعبوي الرسمية.

(٢١) اخبار مجموعة (٦) وفتح الاندلس (٥) وابن الكردبوس (٤٥) وذكر بلاد الاندلس (٨٤) وابن الاثير (٥٦١/٤) والبيان المغرب (٢/ ٥) والنويرى (٢٦/٢٢) ونفح الطيب (١٦٠/١ و ٢٥٣ – ٢٥٤) .

المسلمين ، وبذلك أدّى طريف ورجاله واجبهم الاستطلاعيّ المزدوج على أتمّ ما يرام ، وكان استطلاعه تمهيداً لوضع خطة فتح الأندلس موضع التنفيذ العمليّ في ميادين القتال (٢٢) .

الانســــان

لم نَعُد نسمع عن طريف ، بعد هذه السريّة الاستطلاعيَّة الموفّقة التي قادها مستطلعاً أحوال الأندلس سكاناً وأرضاً للمسلمين ، وبدأ عمليّاً تطبيق خطّـة فتح الأندلس ، ومهّد لهذا الفتح تمهيداً موفّقاً .

ولكنّه ظهر مرة أخرى من جديد ، على مسرح الحوادث في المغرب ، ولعب دوراً خطيراً في الثورة التي قادها مَيْسَرَة البربري المدْغَري (٢٣) في المغرب الاقصى (٢٤) ، وكانت أوّل حركة خارجية قام بها المغرب على المسلمين ، وكان ذلك سنة سبع عشرة ومائة الهجريّة (٢٥) (٧٣٥ م) .

وقائد الثورة ميسرة المدغري : نسبة إلى قبيلة مَدْغَرة ، وهي من القبائل البترية من البربر ، ويلقبه بعض المؤرخين بـ : الفقير (٢٦) ، وربما كان هذا

---

(٢٢) انظر عن عملية طريف الاستطلاعية : نفـح الطيب (٢٥٣/١) والبيان المغرب (٦/٢) ووفيات الاعيان (٣٢٠/٥) ، وانظر التاريخ الاندلسى (٤٦) .

(٢٣) انظر التفاصيل في : ابن الاثير ١٩٠/٥ ــ ١٩٤) والبيان المغرب (٥٢/١ ــ ٥٤) .

(٢٤) المغرب الاقصى : من ساحل البحر المحيط غربا الى تلمسـان شرقا ، ومن سبتة الى مراكش ثم الى سجلماسة وما في سمتها شمالا وجنوبا ، انظر تقويم البلـدان (١٢٢) واحسن التقاسيم (٢١٥ ــ ٢٣٦) والاعـلاق النفيسة (٣٤٧ ــ ٣٥٣) والمسالك والممالك لابن خرداذبة (٨٥ ــ ٩٣) ومختصر كتاب البلدان (٧٨ ــ ٨٨) وصفة المغرب (٢ ــ ٢٩) والمسالك والممالك للاصطخرى (٣٣ ــ ٣٨) ، وهو المملكة المغربية في الوقت الحاضر ، انظر تاريخ المغرب العربى (١٢) .

(٢٥) ابن الاثير (١٩١/٥) .

(٢٦) فتوح مصر والمغرب (٢١٨) .

لقبه بين أتباعه نسبة إلى فقره وزهده . بينما يلقبه آخرون بـ : الحقير (٢٧) ، استهانة به ، وهؤلاء خصومه من أعداء الخوارج . وكان الرجل في مبدأ حياته بسيطاً عمل سقّاء يبيع الماء في سوق القيروان ، مركز الاشعاع الديني ، حيث العلماء والفقهاء وأهل الزهد والورع والتقوى . وكان بين هؤلاء مَن يدعو إلى العودة بالاسلام إلى نقائه الأول ويقف في وجه الاجراءات التي تخلّ بمبدأ الاخاء والمساواة بين جميع المسلمين ، فكانوا كما يبدو ويروجون عن غير قصد لمبادئ الخوارج ، أي لمبادئ الثورة على الدولة (٢٨) .

وقد كان ميسرة يسعى إلى تحقيق المساواة في الأعطيات بين العرب والبربر في الجيش الافريقي ، فقصد ميسرة على رأس وفد من المغاربة يبلغ حوالي عشرين رجلاً دمشق للفت نظر هشام بن عبد الملك إلى مطالب المغاربة ، فطال مقامهم بباب الخليفة دون جدوى . وتتلخص مطالب المغاربة ، في أنّ أمير المغرب عند ما يغزو وبجنده العربيّ وبالمغاربة ، فانّه يحرم المغاربة من نصيبهم من الغنيمة ويقول : « هذا أخلص لجهادكم » ، وإذا حاصر مدينة قال : « تقدّموا وأخر جنده » ، وأرادميسرة ومن معه أن يعرفوا : أعن رأي أمير المؤمنين هذا أم لا ؟ (٢٩) . وموضع الشكوى فيهذه الرواية ، هو تمييز العرب على المغاربة . مما يتضمّن عدم تطبيق مبدأ المساواة والاخاء بين المسلمين ، مما يعتبره بعضهم خروجاً على مبادئ الاسلام .

وعاد ميسرة وجماعته من الشّام بعد أن خاب رجاؤهم فيانصاف الخليفة ، فخرجوا من المعارضة الصّامتة إلى الثورة المسلحة . وبدأت الثورة في طنجة في موطن مدغرة قبيلة ميسرة ، حيث أعلن نفسه إماماً وبايعه الناس (٣٠) .

---

(٢٧) البيان المغرب (٥٢/١) .
(٢٨) ابن الاثير (١٩١/٥) .
(٢٩) انظر التفاصيل في الطبرى (٢٥٤/٤ ـ ٢٥٥) وابن الاثير (٩٢/٣-٩٣) .
(٣٠) ابن الاثير (١٩١/٥) وفتوح مصر والمغرب (٢١٨) .

وسرعان ما انضمت إلى قبيلته جميع قبائل المنطقة من غمارة ومكناسة وبرغواطة، وكانت دعوة الخوارج منتشرة في قبيلة بَرْغواطة بفضل طريف رئيسها (٣١)، ولا نعرف متى اعتنق طريف مذهب الخوارج، هل كان قبل نهاية القرن الأول الهجري، أم بعد نهايته في بداية القرن الثاني الهجري، ومن المرجح أن يكون في بداية القرن الثاني، لأن نهاية القرن الأول، كان بالنسبة للبربر ومنهم طريف، مليئاً بالأحداث الجسام، وعلى رأسها فتوح الأندلس، وما أعقبها من ترصين الفتوح وتوطيد أقدام الفاتحين وترسيخ جذور الفتوح والفاتحين.

أما بداية القرن الثاني الهجري، فقد أصبح البربر أكثر تفرّغاً، وبدا التناقض بينهم وبين العرب يطفو على السطح، فكان لابد من ان يملأوا فراغهم بعمل ما، فكان هذا العمل تلك الثورة العارمة للبربر على العرب.

وبعد القضاء على ثورة ميسرة ومَن كان معه من الخوارج الصُّفريّة سنة أربع وعشرين ومائة الهجرية (٣٢) (٧٤١ م)، تفرّق أصحابه في البلاد، فلجأ طريف إلى بلاد تامسنا على ساحل البحر المحيط بين مصبّي وادي سَلا وأمّ الربيع حيث تستقر قبيلة برغواطة البربريّة، وهناك تزعَم بربر المنطقة من برغواطة (٣٣).

وكان طريف من جملة قوّاد ميسرة ومَن جاء بعده في ثورة الخوارج الصُّفريّة بالمغرب (٣٤)، فلما انتهت تلك الثورة بالاخفاق، حلّ طريف ببلاد تامَسْنا (منطقة مدينة الرباط الحالية وما حولها)، فقدمه البربر على أنفسهم، فوليَ أمرهم، وكان على دين الاسلام. وبقى أميراً على البربر في تلك البلاد

(٣١) فتوح مصر والمغرب (٢٥٤).
(٣٢) البيان المغرب (١/٥٦).
(٣٣) البكرى (١٣٨) والبيان المغرب (١/٢٢٣).
(٣٤) البيان المغرب (١/٥٧).

ليس على برغواطة حسب ، بل على جميع بربر تلك البلاد ، حتى تُوفي . وترك أربعة أولاد ، فولىَّ الأمر بعده صالح بن طريف ، وكان مولده سنة عشر ومائة الهجريّة (٧٢٨ م) ، فتنبأ فيهم ، وشرع لهم ديانة ، وسمىّ نفسه: صالح المؤمنين ، وعهد إلى ابنه إلياس بديانته وأمره ألاّ يظهر ذلك إلاّ إذا قوى أمره ، وحينئذٍ يدعو إلى مذهبه ، ويقتل مَن خالفه من قومه . وخرج صالح إلى المشرق ، وزعم أنّه يعود إليهم في دولة السّابع من ملوكهم ، وزعم أنّه هو المهديّ الاكبر الذي يخرج في آخر الزمان لقتال الدجّال ، وأنّه يملأُ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً ، وتكلم لهم في ذلك بكلام كثير نسبه لموسى عليه السّلام ولسَطيْح الكاهن (٣٥) وغيره (٣٦) .

وقد كان ابتداء أمر صالح خلفاً لوالده طريف سنة أربع وعشرين ومائة الهجريّة (٣٧) (٧٤١ م) ، أي في سنة عودة طريف من حرب الخوارج متعاوناً معهم وقائداً مرأساً لهم في ثورتهم على الدولة ، ويبدو أنّ طريفاً لم تطل مدّته رئيساً على تلك المنطقة من بلاد المغرب ، فخلفه ابنه صالح الذي استغلّ شدّة جهل (٣٨) البربر في تلك المنطقة النائية ، فزعم لهم مازعم ، وصدّقوا مزاعمه لجهلهم في حينه .

لقد كان طريف أبا ملوك برْغَواطة البربريّة ، وهو من ولد شمعون بن يعقوب بن إسحاق عليهم السلام (٣٩) ، ومن الواضح أنّ طريفاً لم يكن

---

(٣٥) احد كهان اليمن في الجاهلية ، واسمه ربيع بن ربيعة ، انظر ابن الاثير (٤١٨/١ - ٤١٩) .

(٣٦) انظر التفاصيل في البيان المغرب (٢٢٣/١ - ٢٢٤) ، وانظر البكرى (١٣٨) والاستبصار (١٩٨) .

(٣٧) البيان المغرب (٥٧/١) .

(٣٨) البيان المغرب (٥٧/١) والاستبصار (١٩٧) .

(٣٩) البيان المغرب (٢٢٣/١) ، واسحق هو ابن ابراهيم عليه السلام .

يعرف هذا النسب ، ولم ينتسب إليه ، وأنّ أولاده الذين حكموا البربر بصفة دينيّة هم الذين ادّعوا لأنفسهم هذا النّسب . لاعطاء انحرافهم الديني مسحة من النّسب إلى الأنبياء . قد يقنع البربر في جهلهم حينذاك ، ولكنه لايقنع البربر الذين كانوا على درجة من العلم بهذا الانحراف ، لذلك اقتصر انحراف عَقِب طريف على بَرْغَواطة ، فنُسب هذا الانحراف الى قبائل الاقليم ، فعرف بـ : زندقة بَرْغَواطة (٤٠) .

وكان سبب انضمام طريف إلى الخوارج وثورتهم ، هو انحراف بعض ولاة الدولة عن العدل ومبادئ الاسلام ، فقد تولى عُبَيْدُ الله بن الحَبْحَاب(٤١) إفريقيّة والمغرب كلّـه لهشام بن عبد الملك بن مروان . واستخلف ابن الحبحاب على طنجة ابنه إسماعيل ، وجعل معه عمر بن عبد الله المراديّ (٤٢) .

وأساء عمر بن عبد الله المرادي السِّيرة ، وتعدىّ في الصّدقات والعُشُر ، وأراد تخميس البربر ، وزعم أنّهم فيئ للمسلمين ، وذلك مالم يرتكبه عامل قبله ، وإنّمـا كان الولاة يُخمسُون مَنْ لم يُجِبْ للاسلام ، فكان فعله الذميم هذا سبباً لنقض البلاد ووقوع الفتن العظيمة (٤٣) فلما سمع البربر بذلك نقضوا الصّلح على ابن الحبحاب ، وتداعت عليه بأسرها مسلمها وكافرها ، وعظم البلاء ، وقدَّم مَن بطنجة من البربر على أنفسهم ميسرة السَقّـاء ثم المدغرىّ ، وكان خارجياً وصُفْرِيّاً وسقّاء ، وقصدوا طنجة ، فقاتلهم عمر

(٤٠) د. سعد زغلول عبد الحميد ـ تاريخ المغرب العربى ـ ١٤٧ ـ دار المعارف بالقاهرة ـ ١٩٦٥م .

(٤١) عبيدالله بن الحبحـاب : مولى بنى سلول ، وكان رئيسا نبيلا ، واميرا جليلا ، بارعا في الفصاحة والخطابة ، حافظا لايام العرب واشعارها ووقائعها ، انظر البيان المغرب (١/٥١) .

(٤٢) ابن الاثير (٥/١٩١) .

(٤٣) البيان المغرب (١/٥١ ـ ٥٢) .

ابن عبد الله فقتلوه ، واستولوا على طنجة ، وبايعوا ميسرة بالخلافة ، وخوطب بأمير المؤمنين (٤٤) ، وكثر جمعه بنواحي طنجة من البربر وقوي أمره ، وكان ذلك سنة سبع عشرة ومائة الهجريّة (٤٥) (٧٣٥ م) .

والخوارج الصُّفريّة ، هم أتباع زياد بن الأصفر ، وهم في آرائهم أقلّ تطرّفاً من الأزارقة وأشدّ من غيرهم (٤٦)وقد خالفوا الأزارقة في مرتكب الكبيرة ، فالأزراقة اعتبروه مشركاً ، ولم يكتفوا بتخليده في النار ، بل زادوا أنّه يُعدّ مشركاً . أما الصُّفرية فلم يتّفقوا على إشراكه ، وقد اعتنق المذهبهم كثير من الصّالحين شرقاً وغرباً (٤٧) .

وبالنسبة لطريف ، فانّ ثورة البربر كانت عارمة ، لم يتخلّف عنها أحد ، فما كان بامكانه أن يتخلّف وحده عنها ، وقد جرفته روح الجماعة . كما أنّ شعار الثورة في مقاومة الانحراف لاغبار عليه ، فلا يرضى الاسلام أن يُخمّس البربر المسلمون ولايرضى المسلمون الصالحون من الفقهاء والمحدّثين بهذا التّخميس ، كما أن التفرقة بين المسلمين على أساس الجنس لايقرّه الاسلام كما هو معروف .

أما اتّهام طريف بانحرافه عن الاسلام (٤٨) ، فقد كذّبه مَن اتّهمه بهذه التهمة في كتابه الذي اتّهمه فيه (٤٩) ، كما لم تأخذ بهذا الاتّهام المصادر

---

(٤٤) يقصد بها : الامامة ، كما هو معروف عند الخوارج ، وخاصة في ذلك الوقت المبكر .
(٤٥) ابن الاثير (١٩١/٥) .
(٤٦) انظر ماجاء عن المبادىء التي تجمع الخوارج كتاب : تاريخ المذاهب الاسلامية (٧٥/١ ـ ٧٨) .
(٤٧) الشيخ محمد ابو زهرة ـ تاريخ المذاهب الاسلامية (٨٨/١ ـ ٨٩) ـ القاهرة ـ بلا تاريخ .
(٤٨) البيان المغرب (٥٧/١) .
(٤٩) البيان المغرب (٢٢٤/١) .

المعتمدة الأخرى ، فقد نسبت زندقة برغواطة إلى صالح بن طريف لا إلى طريف (٥٠) ، فالتهمة الموجّهة إلى طريف ولدت ميتة ، لم يصدّقها أحد ولم يأخذ بها أحد .

ويبدو أنّ طريفاً ، كان قادراً حازماً ، وكان كريماً مضيفاً شهماً غيوراً مؤمناً تقياً ، ولو لم تكن هذه الصفات الانسانية فيه : لما ارتضته برغواطة رئيساً عليها ، ثمّ أصبح على قبائل بلاد تامَسْنا في المغرب الاقصى رئيساً عليهم من الناحيتين الدينية والدنيوية في آن واحد وبلا منازع .

وعلى الرغم من أنّ المصادر قليلة جداً ، إلاّ أنّه يبدو بجلاء أنّه كان رجلاً من رجال المسلمين الأبرار ، الذين سخروا مواهبهم لخدمة مصلحة المسلمين العليا ، ولم يسخّروها لخدمة مصلحتهم الشخصيّة ، وحسبه بذلك عملاً من الأعمال الباقية التي لاتُنْسى .

القائد

كان طريف أحد موالي موسى بن نُصَير كما ذكرنا ، فكان بتماس شديد مع أمير إفريقيّة والمغرب ، وكان مولى دائب الحركة كثير النشاط ، يسير من فتح الى فتح في ولايته ، حتى قضى على الفتن الداخليّة قضاء مبرماً ، وأشاع الأمن والاطمئنان بين السُكان ، وفرض هيبة الدولة وسلطانها ، وفتح ما لم يُفتح من قبله .

ويبدو أنّ طريفاً ، برز من جملة مَن برز في عمليات موسى العسكريّة ، فلفت إليه الأنظار ومنهم موسى بعد أن سيطر على إفريقيّة والمغرب سيطرةً كاملةً ، يتطلّع إلى فتح الأندلس ، فقد كان حاضر إفريقيّة والمغرب ومستقبلها

(٥٠) البكرى (١٣٤) والاستبصار (١٩٧) .
(٥١) فجر الاندلس (٦٦) .

بالنسبة لتوطيد أركان الفتوح فيهما مهدّداً من الرّوم أولاً ومن القُوْط الغربيين في الأندلس ثانياً ، وقد هاجم موسى قواعد الرُّوم في البحر الأبيض المتوسط : صِقِلّية وسَرْدَانية ، وفتح مَيُوْرَقَة ومَنُوْرَقَة (٥٢) ، لغرض حماية فتوح إفريقيّة والمغرب من الرُّوم ، لأنّ الهجوم أنجع وسائل الدفاع ؛ وبقي على موسى فتح الأندلس لوضع حدّ نهائي لتهديد القُوْط الغربيين الذين يحكمون الأندلس حاضر ومستقبل فتوح المسلمين في إفريقيّة والمغرب .

وفاتح موسى الخلافة في دمشق ، حول فتح الأندلس ، إذ لم يكن بامكانه أن يُقدم على تنفيذ مثل هذه العملية الكبرى بدون موافقة الخلافة الصريحة ، وكان الخليفة يومها الوليد بن عبد الملك بن مروان الذي كان حريصاً أعظم الحرص على أرواح المسلمين ، وكان يرفض بشدّة وحزم وإصرار كلّ محاولة للتغرير بالمسلمين وتعريضهم للمخاطر دون مسوِّغ ، وقد وافق على مضض على اقتراح موسى الخاص بمحاولة فتح الأندلس الذي كان موسى يريد وضعه في ميدان التطبيق العملي ، بعكس الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي كان يرى في هذا الفتح نوعاً من التغرير بالمسلمين ، فكان الوليد لا يتردد في الاقدام على إلغاء عملية فتح الأندلس برمتها ، في حالة تعرّض سرايا الاستطلاع التي مهّدت لخطة الفتح للاخفاق . لذلك بذل موسى غاية جهده في تنفيذ أمر الخليفة أولاً : « أن خُضْها بالسرايا ، حتى ترى وتختبر شأنها ، ولا تُغرِّر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال » (٥٣) ، وأن تكون سرية الأستطلاع التي تمّهد للفتح مختارةَ المقاتلين بقيادة قائد مختار أيضاً ، ينجح في مهمته القياديّة الصّعبة ، ويقتنع الخليفة بنجاحه أن موسى لايغرِّر بالمسلمين ، بل يقودهم الى النصر .

(٥٢) انظر تفاصيل ذلك في سيرة عبدالله بن موسى بن نصير ، في كتاب : قادة فتح الاندلس ــ مخطوط .

(٥٣) نفح الطيب (٥٥٣) .

وأيّ قائد عام ، في مكان موسى بن نُصَير ، في حرصه العظيم على فتح الأندلس ، يشترط عليه الخليفة ، أن يبدأ عمليّة الفتح بالاستطلاع بالسرايا ، فاذا نجحت سرايا الاستطلاع كان لـه مايريده من فتوح في الأندلس ، وإلاّ فلا فتوح في الأندلس إذا أخفقت سرايا الأستطلاع ، وتوضع عمليّة الفتح كلّها على الرف ، فانّه لابد أن يختار قائداً متميّزاً لقيادة سرايا الاستطلاع ، ويختار لـه رجاله أو يسمح له باختيارهم ، ليضمن نجاح مهمته الاستطلاعية ، فيرضى الخليفة ، وتبدأ عملية الفتح .

وأرى أنّ موسى ، حين اختار طَريفاً ، لقيادة سرية استطلاعية ، يتوقف عليها مصير الاقدام على فتح الأندلس ، لا بدّ من أن تتيسر فيه مزايا قيادية متميّزة ، تؤهّله لتولّي مثل هذه المهمّة المصيريّة الصّعبة ، لا لينجح في تحقيق مهمّته كما ينبغي حسب ، بل ليتفوق في نجاحه وحينذاك يصبح الخليفة مرحّباً بالفتح لا متخوفاً على المسلمين منه .

ومفتاح مزايا شخصية طريف القيادية ، تتركز في إيمانه العميق ، فهو مجاهد صادق وهو شجاع مقدام ، يعتبر الشّهادة أُمْنِيَّة من أعزّ أمانيه ، وهو متزن غير متهوّر ، لايخطو خطوة بدون حساب ، وهو كذلك ذكيّ ألمعيّ الذكاء .

وتلك هي أبرز مزاياه القياديّة ، التي جعلت موسى بن نُصير ، يوليه أهمّ وأخطر منصب قياديّ مصيري ، فنهض باعبائه بنجاح عظيم .

أما مجمل مزاياه القياديّة الأُخرى ، فيمكن تعدادها بايجاز شديد .

فقد كان من أولئك القادة الذين يتمتّعون بمزيّة إصدار : قرار صحيح سريع ، لأخذ المبادرة ، ووضع الحلول الناجعة للمعضلات ، في الوقت والمكان الحازمين ، دون إضاعة الوقت سدى .

وكان على جانب عظيم من : الشّجاعة الشّخصيّة ، فبقي مجاهداً في

ساحات الفتوح حتى توقف مدّ الفتوح ، ثم دأب على القتال حتى نهاية أيامه في هذه الحياة .

وكان : ذا إرادة قويّة ثابتة ، لايضعف ولايهون ، ولا ينحرف عن هدفه ولا يتزعزع ، ولا يسالم ولا يستسلم .

وكان : يتحمّل المسئوليّه ، ويحبّها ، ولا يتهرب منها ، ولا يتملّص من أعبائها ، ولا يلقيها على عواتق الآخرين رغبة بالسّلامة والعافية .

وكانت له : نفسيّة لاتتبدّل ، في حالتى النّصر والاندحار ، واليُسر والعُسر والرخاء والشدّة .

وكان لذكائه المفرط ، يتمتّع بمزيّة : سبق النّظر ، فكان يتوقّع ما يُعدّه العدو له من خطط للايقاع بقواته ، فيضع الخطط التي تُحبط خطط العدو وتؤدي به الى الهزيمة ، وتؤدي برجاله إلى النصر .

وكان على : معرفة وثيقة بنفسيات وقابليات رجاله ، فهو واحد منهم نسباً ومصيراً ، وهو معهم في السرّاء والضرّاء وحين البأس ، فكان يولّى الرجل المناسب العمل المناسب ، الذي يناسب نفسيّته وقابليّته ، مما يؤدي إلى النجاح أو الامتياز بالنجاح .

وكان يثق برجاله ، ويثقون به ، ويسيرون تحت قيادته إلى الموت دون خوف ، ثقة به ، لأنّه يؤثرهم بالأمن ويستأثر دونهم بالخطر ، ويحرص على أرواحهم أكثر مما يحرص على روحه ، ولا يغرّر بهم في حال من الأحوال. وكان يثق برؤسائه . وكان رؤساؤه يثقون به ، ولولا ثقة موسى به ، لما ولاّه مثل هذا المنصب الخطير .

وكان يحبّ رجاله ، وكان رجاله يحبّونه يتمتّع بالمزايا التي تحبّب الانسان الى الناس، كما كان موضع حبّ رؤسائه ، وكان يبادلهم حباً بحبّ .

وكان ذا : شخصية قويّة نافذة ، يؤثّر في أتباعه بالمُثُل التي يؤمن بها

ويحملها ، فهو يعمل لهم أكثر مما يعمل لنفسه ، ويحبّ لهم ما يحبّه لنفسه ، ولا يريد منهم غير مايريده من نفسه ومن أهله ، فهو ينصفهم قبل أن يطالبه أحد بالإنصاف .

وكان يتمتع بـ : القابليّة البدنية المتميّزة ، فهو في ريعان الشباب ، حين تولّى منصبه القياديّ ، وقد بقي متمتعاً بالقابليّة البدنية حتى في أيامه الأخيرة ، والدليل أنّه بقي مقاتلاً رهيباً ، لم يتخلّ عن سيفه ، في يوم من الأيام .

وكان من ذوي : الماضي النّاصع المجيد ، فهو من رؤساء البربر ، كان رئيساً قبل أن يتولّى القيادة ، ثم أصبح رئيساً قائداً ، فلما تخلّت عنه القيادة ، بقي رئيساً لاينازعه في رئاسته منازع .

وكان يطبّق مبادىء الحرب بصورة تلقائية ، وهذه المبادئ ثابتة في كلّ زمان ومكان ، ولكن الأساليب الحربيّة هي التي تتبدّل باستمرار .

فقد كان يطبّق مبدأ : اختيار المقصد وإدامته ، وكان قائداً تعرّضياً ، لم يتّخذ أسلوب الدفاع في حربه . وكان يطبّق مبدأ المباغتة ، ولعلّ عبوره في سفن يُلْيَان ، أو سفن التجّار الذين يعملون مع يليان ، كان الهدف منه مباغتة القوط بالعبور ، وهم يظنّون أنّ السفن تعود للتجّار الموالين لهم ، ولا تعود للمسلمين الفاتحين ، إذ من المعلوم ، أنّ موسى بن نُصير ، كان يمتلك كثيراً من المراكب والسّفن التي يستغني بها عن سفن يليان وأتباعه ، ولكن موسى استفاد من سفن يليان لاخفاء العبور ولمباغتة القوط في السّاحل الأندلسي بالعبور وبالانزال .

وكان يطبّق مبدأ : تحشيد القوّة ، ويستغلّ طاقات رجاله كافة ، في تحقيق هدفه في الاستطلاع والفتح .

وكان يطبق مبدأ : الاقتصاد في المجهود ، فيعرف هدفه ، ويستعمل القوّة

المناسبة لتحقيق هدفه ، دون إفراط ولا تفريط .

وكان يحرص أعظم الحرص على تطبيق مبدأ : الأمن ، فلا نعرف أنّ العدو استطاع مباغتة قوّاته ، وقد استطاع أن يباغت عدوه في عمليته الاستطلاعية ، فحقق هدفه ، وغنم غنائم كبيرة نسبياً ، وعاد إلى قاعدته سالماً .

وكان يطبّق مبدأ : المرونة ، فكانت خططه قابلة للتطوير والتحوير عند الحاجة ، وكانت قابليته على الحركة جيدة للغاية .

وكان يضع مبدأ : التّعاون نصب عينيه ، فهو ييسّر التّعاون الوثيق بين رجاله أفراداً وصُنوفا ، وهو يتعاون مع يليان ورجاله ويسهّل التعاون بينهم وبين رجاله ، وهو يتعاون مع قيادته العليا ما استطاع الى ذلك سبيلاً .

وكان يعمل على : إدامة المعنويات ، بالعقيدة الراسخة ، والقيادة الحصيفة ، والانتصارات المتعاقبة ، لأنه يعلم حقّ العلم ، أنّ الرجال الذين يتمتّعون بالمعنويات العالية ، ينتصرون على الرجال الذين يعيشون بمعنويات منهارة .

وكان يهتم : بالأمور الادارية ، فالجندي يمشي على بطنه ، والمقاتل لايصبر طويلاً على الجوع والعطش ، ولا على نقص الامور الادارية ملبساً وتنقلاً وتسليحاً وإسكاناً وطبابة وبيطرة وغيرها ، لأنها ضرورية لاحراز النّصر ، وكانت بالنسبة لقوّة طريف جيدة للغاية ، وكان وضع رجاله الاداري أفضل بكثير من وضع غيرهم من الفاتحين شرقاً وغرباً .

وكان يساوي نفسه بأصحابه ، ويعيش معهم كما يعيشون ، ويحاول الاّ يتميّز عليهم بمظهر من مظاهر الدنيا ، ولا يرضى أن يتميّز أحد من أصحابه على غيره مادياً أو معنوياً .

وكان يؤمن بمبدأ الشّورى ، فيستشير رجاله ، ويشاورهم فيما يعترضه من مشاكل ، ويطبّق مشورتهم .

لقد تقدّم طريف على غيره من البربر المسلمين ، بمزاياه القيادية التي لفتت

إليه الأنظار ، فولاه موسى منصباً قيادياً ، في ظروف غير اعتيادية ، لينهض بتحقيق هدف مصيريّ صعب ، في أيام يصعب فيها على غير العرب المسلمين الوصول إلى المناصب القياديّة ، لأنّها كانت للعرب المسلمين وحدهم دون سواهم ، ولكنّ طريفاً وطارق بن زياد وحدهما من البربر توليّا منصبين قياديين في فتوح الأندلس ، وكانا قبل ذلك من المقربين إلى موسى بن نُصَير ومن أبرز المقربين إليه من البربر المسلمين . كما تولّى طارق منصبه القياديّ بمزاياه القياديّة أولاً وقبل كلّ شيء ، ولكن قربه من موسى بن نُصير ، أتاح له فرصة إظهار تلك المزايا للعيان ، وربما لو كان بعيداً عن موسى لما استطاع موسى اكتشاف تلك المزايا القياديّة في طارق بسهولة ويسر ، ولما أتاح له الفرصة الملائمة لتولّي منصبه القياديّ الرفيع ، فكانت تولية طارق لمزاياه القياديّة أولاً ، ولقربه من موسى صاحب السّلطة في اختيار القادة وتوليتهم ثانياً ؛ كذلك كان الأمر بالنسبة لطريف ، فقد شقّ طريقه إلى منصبه القياديّ بمزاياه القياديّة أولاً ، وبتماسه الشّديد بموسى .

وعلى كلّ حال ، فقد كان طريف عند حسن ظنّ موسى بن نصير به ، وعند حسن ظن طارق بن زياد أيضاً ، وعند حسن ظنّ المسلمين الفاتحين في الأندلس ، وكان تولّيه منصباً قيادياً مكسباً لاشكّ فيه للقيادة العامة وللفتح والفاتحين .

طريف في التاريخ

يذكر التاريخ لطريف ، أنّه كان من أوائل البربر المسلمين ، الذين تولّوا منصباً قياديّاً في فتوح الأندلس ، في عهد كانت فيه المناصب القيادية للعرب المسلمين وحدهم دون سواهم .

ويذكر له ، أنّه قاد سرية استطلاعية ، إلى برّ الأندلس ، فنجح في

تحقيق أهداف القيادة العامة ، نجاحاً باهرا .

ويذكر له ، أنّه أول مَن مّهد لوضع خطة فتح الأندلس ، في موضع التنفيذ ، فاستطاع المسلمون الفاتحون فتحها ، خلال ثلاث سنوات .

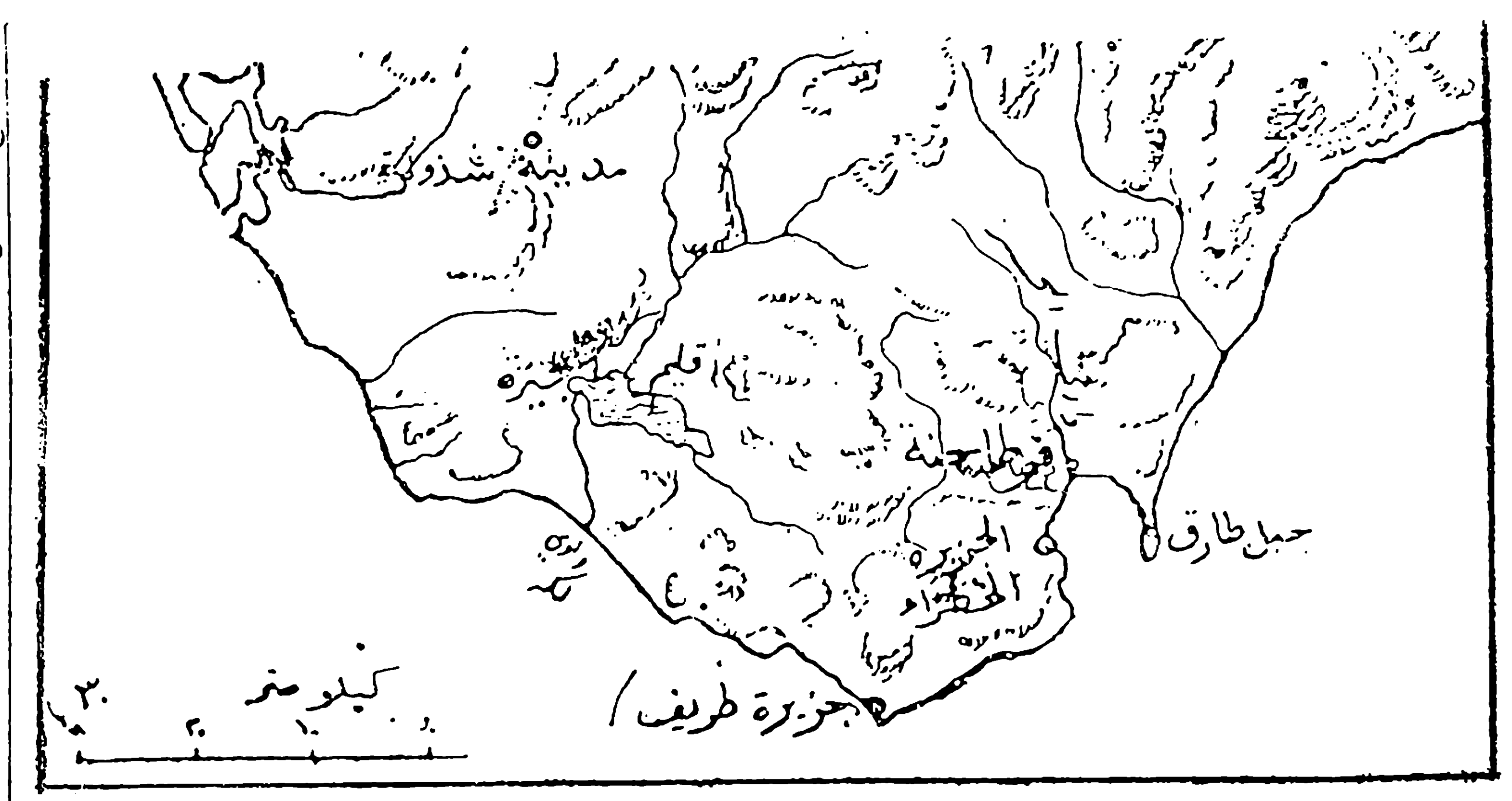
ويذكر ، أنّه كان يميل بطبعه إلى معاناة القتال ، فبدأ حياته مجاهداً في ساحات الفتوح ، وبقي يمارس هوايته المفضّلة في القتال ، حتى رحل عن هذه الحياة .

ويذكر له ، أنّه كان رئيساً من رؤساء إحدى القبائل البربريّة المسلمة ، ولكنّ نطاق رئاسته توسّع بالتدريج ، حتى شمل في رئاسته عدّة قبائل بربريّة مسلمة ، تحلّ في منطقة مدينة الرباط الحالية الشّاسعة المنعزلة .

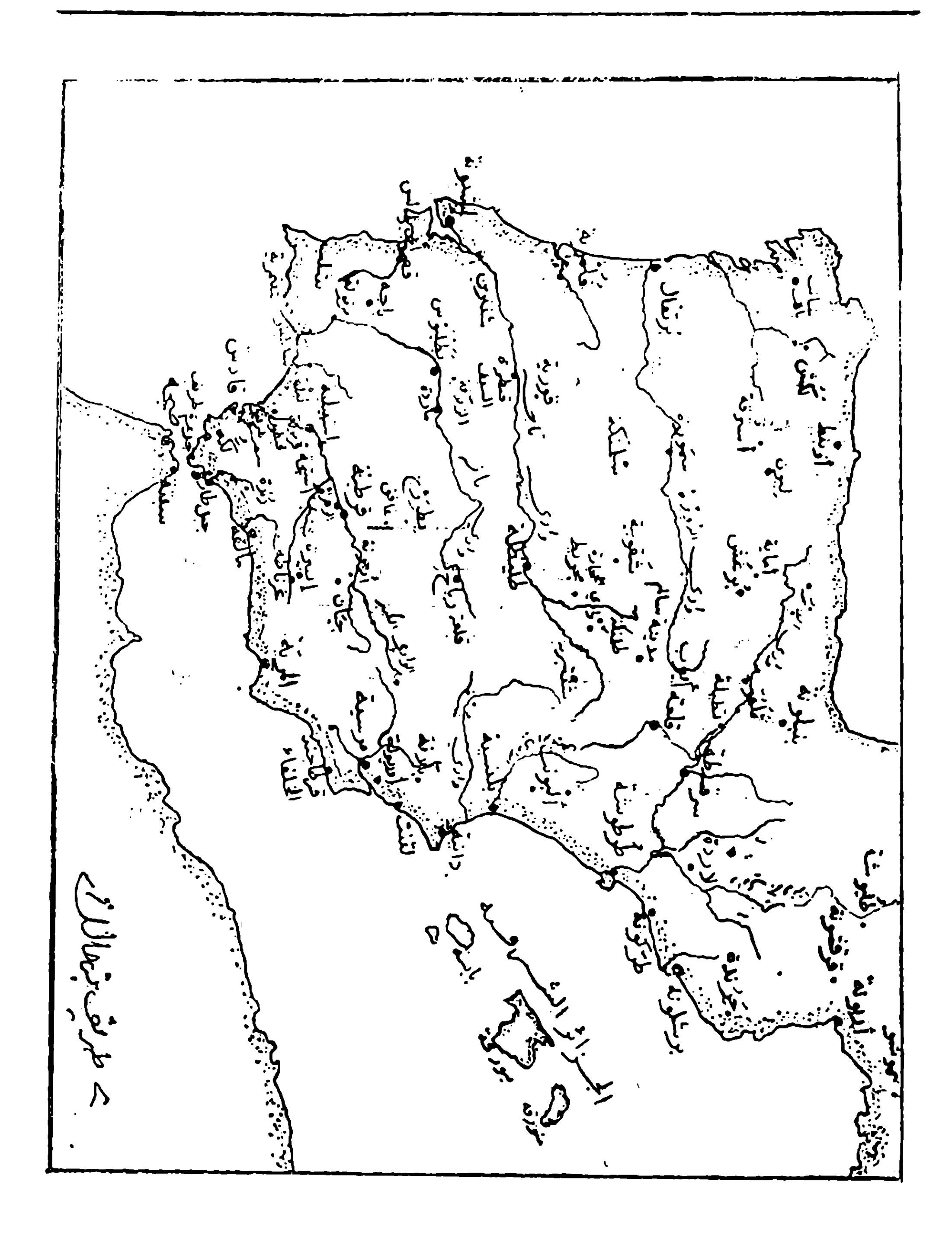
ويذكر له ، أنّ اسمه لايزال علماً على جزيرة اندلسية ، كان أوّل مَن وضع قدمه في رحابها ، وأنزل رجاله في أرجائها ، فعُرفت باسمه منذ ذلك التاريخ ولا تزال .

رحمه الله رحمةً واسعة ، وأسكنه فسيح جنّاته ، جزاء لما قدّم للاسلام والمسلمين من جهود ماديّة ومعنويّة في الفتح وفي غير الفتح قائداً وإنساناً .





خارطة لنزول طارق في الأندلس ولمعركة وادي لكه



عبد الأعلى بن موسى بن نصير اللخمي[1]

فاتح مالقة[2] والبيرة[3]

نسبه وايامه الأولى

هو عبد الأعلى بن موسى بن نُصَيْر بن عبد الرحمن بن زيد (٤) ، من بني لَخْم (٥) ، ويقال : إنّه مولى لَخْم (٦) ، وقيل : إنّه من أراشَة من بَلِيّ (٧) ، وقيل : من بَكْر بن وائل (٨) ، ويذكر أولاده أنّه من

(١) ورد اسم ابيه : موسى بن نصير اللخمي في المعارف (٥٧٠) واليعقوبي (٢٢/٣) والبداية والنهاية (١٧١/٩) ورياض النفوس (٧٧/١) . ولخم : هو مالك بن عدى بن الحارث بن مرة بن ادد ، انظر جمهرة انساب العرب (٤٢٢) ، وهم من بنى سعد العشيرة بن مذحج بن سبأ ، انظر جمهرة أنساب العرب (٤١٠ ــ ٤٢٢) ، وانظر بطون لخم في جمهرة أنساب العرب (٤٧٧) .

(٢) مالقة : مدينة بالاندلس عامرة ، من أعمال (رية) ، سورها على ساحل البحر ، بين الجزيرة الخضراء والمرية ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٧/٧) .

(٣) البيرة : كورة كبيرة بالاندلس ، واسم مدينة أيضا ، بينها وبين قرطبة تسعون ميلا ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٢٢/١) و (٣٢٠/٢) .

(٤) البيان المغرب (٣٢/١) .

(٥) بغية الملتمس (٤٥٧) وتاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس (١١٤/٢) والنجوم الزاهرة (٢٣٥/١) ونفح الطيب (٢٥٤/١) .

(٦) بغية الملتمس (٤٥٧) وتاريخ العلماء والرواة بالاندلس (١١٤/٢) وجذوة المقتبس (٣١٧) ووفيات الاعيان (٤٠٢/٤) والولاة والقضاة (٥٢) .

(٧) البلاذرى (٢٤٨) ، واراشة بن عبيلة بن قسميل بن فران بن بلي بن عمرو بن الحافى بن قضاعة ، انظر التفاصيل في جمهرة انساب العرب (٤٤٢) .

(٨) نفح الطيب (٢٣٤/١) والبيان المغرب (٣٢/١) .

بكر بن وائل ، وغيرهم يقول : إنّه مولى (٩) .

وادّعاء أولاده وأحفاده ، بانّه من بَكْر بن وائل ، بعد أن استقروّا في إفريقيّة والمغرب والأندلس وملكوا وتأثلوا ، وأصبح لهم أجداد يفخارون بأمجادهم ، وبخاصة موسى بن نُصَير فاتح شطر الاندلس وأوّل جَدّ لهم لاتخفى مفاخره ، في وقت كان فيه الفخر بالنّسب سمة من سمات العصر البارزة ، عصر بني أُميَّة ، قد يؤخذ مأخذ الدعاوة لهم بالنّسب المفضّل لا بمأخذ تقرير الواقع ، كما أنّ ادّعاء مَن كان عليهم لا معهم بأنّهم موالى ، كان نتيجة من نتائج تعالي أولاد موسى بن نُصير بالنسّب المزور لا بالنسب السّليم ، فهو ردّ فعل تلقائيّ لهذا التعالي الموهوم المفتعل، فلا يؤخذ به ولا يُصَدّق أيضاً، لانّ دوافعه عاطفيّة بعيدة عن الحق والواقع .

إنّه عربيّ (١٠) ، من لَخْم ، أبوه موسى بن نُصَير اللَّخْميّ (١١) ، فاتح شطر الأندلس المشهور ، وكان والياً على إفرِيقِيَّة والمغرب في أواخر سنة خمس وثمانين الهجريّة (٧٠٤ م) أو أوائل سنة ست وثمانين الهجريّة (٧٠٥ م) ، كما شغل عدّة مناصب إداريّة وقياديّة قبل ذلك ، تدلّ على أنّه كان قريباً من بني أميَّة ومَن كان يعمل معهم في المناصب الاداريّة والقياديّة العليا .

ولم يكن جدّه نُصَيْر بعيداً عن مراكز السُّلطة في الادارة والقيادة أيضاً ،

---

(٩) جمل فتوح الاسلام ــ ملحق بجوامع السيرة ــ لابن حزم الاندلسي (٣٤٤) .

(١٠) البلاذرى (٢٤٨) والنجوم الزاهرة (١/٢٣٥) .

(١١) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح المغرب العربي (١/٢٢١ ــ ٣٠٩) .

وأصله من سبايا بلدة عَيْن التَّمْر (١٢) الذين سباهم خالد بن الوليد سنة اثنتي عشرة الهجريّة (٦٣٣ م) ، فقد وجد خالد أربعين غلاماً يتعلّمون الانجيل ، عليهم باب مغلق ، فكسره عنهم وقال : «وما أنتم ؟ !» ، فقالوا : « رُهُنٌ ! » ، منهم نُصَير أبو موسى بن نُصَيْر ، فقسّمهم خالد في أهل البلاد (١٣) ، ثمّ أصبح من حرس معاوية بن أبي سفيان (١٤) ، ثمّ أصبح على حرس معاوية (١٥) ، وعلى جيوشه (١٦) ، ولكنه لم يشهد معه قتال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه (١٧) .

ولا نعلم متى وُلد ، وأين ، ولا نعلم عن أيامه الأولى شيئاً ، ونستطيع أن نستنتج أنّه نشأ وترعرع واستوى على عوده ، بالمقارنة مع لِداته في عصره ، الذين عاشوا في بيئة مشابهة لبيئته الاجتماعية ، فهو وأمثاله يربّون تربية تفيد عقولهم بالعلم ، وتفيد أبدانهم بالتدريب العسكري ، ويخالطون العلماء والقادة والاداريين عن كثب ، فيتلقّون منهم عصارة علومهم وتجاربهم في الحياة ، ويتعلّمون منهم كيف يواجهون الأحداث ، وكيف يجدون الحلول المجدية للمعضلات ، فاذا أصبحوا كفايةً وعُمْراً قادرين على العطاء ، مُنحوا الفُرص لابداء كفاياتهم في ميدان الادارة ، أو في ميدان القيادة ، أو في الميدانين معاً ، فتظهر معادنهم الاصيلة ، ويُكتب لهم النجاح أو الاخفاق ،

---

(١٢) عين التمر : بلدة قريبة من الانبار (مدينة الفلوجة حاليا غربى الكوفة ، بقربها موضع يقال له : شفاثا ، لايزال معروفا اليوم ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٥٣/٦) .

(١٣) الطبرى (٥٧٧/٢) وانظر ابن الاثير (١٥١/٢) .

(١٤) ابن خلدون (١٨٧/٤) .

(١٥) وفيات الاعيان (٤٠٢/٤) ونفح الطيب (٢٢٤/١) .

(١٦) نفح الطيب (٢٢٤/١) .

(١٧) وفيات الاعيان (٤٠٢/٤) ونفح الطيب (٢٢٤/١ ـ ٢٢٥) .

لقد نشأ عبد الأعلى وترعرع في ظروف ملائمة كلّ الملاءمة ، لاستكمال مزاياه الشّخصية ، فتلقىّ مختلف العلوم والآداب والفنون المعروفة يومذاك ، وتدرب على الفنون العسكريّة العملية والنظريّة ، وتلقّى تجارب القادة ، والاداريين ، وبخاصة تجارب والده موسى الغنية بالعمل والانتاج والآلام والآمال ، وقد طبّق الفنون العسكرية النّظرية عملياً في ميدان القتال ، وبذلك جمع التدريب الفنيّ النظري والعملي ، ووضع معلوماته العسكرية النّظرية في حيز التنفيذ العمليّ .

ولما عبر موسى إلى الأندلس في رمضان من سنة ثلاث وتسعين الهجرية(١٨) (٧١٣ م) ، ازدادت فرص عبد الأعلى في التّعليم والتدريب عملياً في الفتوحات ، حتى إذا أصبح قادراً على توّلي مهام القيادة ، ولاّه أبوه موسى منصباً قيادياً ، فأضاف بقيادته فتحاً جديداً على فتوح طارق بن زياد وفتوح أبيه موسى وأخيه عبد العزيز (١٩) .

ولم نجد لعبد الأعلى نشاطاً في القيادة أو الادارة أيام كان مع أبيه في في إفريقية والمغرب ، وظهر نشاطه أوّل ما ظهر بعد عبور أبيه موسى إلى الأندلس ، مما يشير إلى أنّه كان في إفريقيّة والمغرب صغيراً على المناصب الادارية والقيادية . فأصبح في أيام عبوره إلى الأندلس برفقة أبيه موسى في عُمْر يناسب توّلي المناصب الادارية والقياديّة ، فمن المحتمل أن يكون عمره سنة ثلاث وتسعين الهجريّة قد جاوز العشرين سنة على الأقل .

لقد تهيأ لعبد الأعلى مزيتان من مزايا القيادة الثلاث الرئيسة : العلم المكتسب ،

(١٨) ابن الاثير (٢١٥/٤) .

(١٩) انظر التفاصيل في فقرة : نسبه وأيامه الاولى ، من سيرة اخيه عبد العزيز ابن موسى بن نصير ، في كتاب : قادة فتح الاندلس وفي هذا العدد من هذه المجلة .

والتجربة العمليّة .

وبقيت السِّمة الثالثة للقيادة ، وهي : الطبع الموهوب ، ولا ندري هل تهيأت له هذه السِّمة أم لا ، لأنّ مدّة قيادته لم تطل ، وظروفه الراهنة في حينها لم تكن ملائمة له ، كما أنّ إنجازاته في الفتح كانت قليلة جداً نسبياً ، وهذه العوامل الثلاثة : المدة ، والظروف ، والانجازات ، لم تيسِّر له إظهار مواهبه القيادية كما ينبغي ، فكانت تلك العوامل الثلاثة عليه لا معه ، فمضى إلى أجله ومعه سرّ موهبته القياديّة ، لم يسجِّلها المؤرخون ، ولا يستطيع احد معرفتها حتى اليوم .

الفاتـــح

وجّه موسى بن نُصَيْر ولديه : عبدُ العزيز وعبد الأعلى ، إلى جنوبي شرقيّ الأندلس، وكان هذا على الأغلب ، بعد استعادة عبد العزيز فتح إشْبِيْلية(٢١) ولَبْلَة (٢١) وباجـَة (٢٢)، لأنّ أسبقية أهداف موسى بعد عبوره إلى الأندلس ، هي القضاء عـلى مراكز المقاومة الرئيسة للقوط ، وأسبقية هـذه المراكز حسب خطورتها هي : المقاومـة القوطية في المناطق الشمالية للأندلس ، وقد توجّـه موسى وطارق بن زياد للقضاء عليها ، والمقاومة القوطيّة في

(٢٠) اشبيلية : مدينة كبيرة عظيمة بالاندلس ، ليس بالاندلس أعظم منها ، وبها قلعة ملك الاندلس ، وهى قريبة من البحر ، على شاطىء نهر ، يطل عليها جبل الشرف ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٢٥٤) .

(٢١) لبلة قصبة كورة في الاندلس كبيرة ، يتصل عملها بعمل اكشونية ، وهى شرقى أكشونية وغربى قرطبة ، بينها وبين قرطبة على طريق اشبيلية خمسة أيام : اربعة واربعون فرسخا ، وبينها وبين اشبيلية اثنان واربعون ميلا ، وهى برية بحرية ، غزيرة الثمر والزروع والشجر ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٣١٩) .

(٢٢) باجة : مدينة بالقرب من لبلة وضمن قصبتها .

وسط الأندلس ، التي تهدِّد خطوط مواصلات المسلمين ، وهي في منطقة إشبيلية ولبلة وباجة ، وقد وجّه موسى ابنه عبد العزيز ، فقضى عليها . والمقاومة القوطية في جنوبيّ وجنوب شرقيّ الأندلس ، التي تهدّد جناح المسلمين الأيمن ، وقد وجّه موسى ابنه عبد العزيز ، بعد انتهائه من معالجة المقاومة القوطيّة في جنوبيّ وجنوب شرقيّ الأندلس ، فقضى عبد العزيز على تلك المقاومة، وبذلك أصبحت خطوط مواصلات المسلمين،وجناحاهم : الأيمن والأيسر ، آمنة مطمئنة ، وأصبح موقف قوّات المسلمين سليماً .

واستطاع عبد الأعلى ، بالتّعاون مع أخيه عبد العزيز ، أن يستعيد فتح مالقة (Malaga) وإِلْبِيرَة (Elvira) ، وكان ذلك سنة أربع وتسعين الهجريّة (٢٣) (٧١٣ م) .

وكان طارق بن زياد ، قد سبق له فتح هذه المنطقة سنة ثلاث وتسعين الهجريّة (٧١٢م) ، فاستعاد عبد الأعلى فتحها من جديد ، مما يدلّ على أنّ المقاومة القوطية استطاعت استرجاعها من المسلمين ، وبذلك هدّدت جناح قوّات المسلمين الأيمن . كما أنّها أصبحت تهدد خطوط مواصلاتهم تهديداً خطيراً ، فكان الموقف العسكري يحتِّم على المسلمين القضاء على مراكز المقاومة القوطية في تلك المنطقة ، واستعادة فتح المنطقة بكاملها من جديد ، وقد استطاع الأخوان : عبد الأعلى ، وعبد العزيز ، بالتعاون بينهما ، تحقيق هذا الهدف الحيويّ الكبير .

---

(٢٣) الاحاطة (١/١٠١) ونفح الطيب (١/٢٧٥) .

الانسان القائـــد

١ ـ الانسان :

ضنّت المصادر والمراجع العربية والاسلامية والأجنبيّة أيضاً ، على عبد الأعلى بذكر أخباره إنساناً ، في قديمها وحديثها ، فلا ذكر له إلاّ نادراً في عدد محدود من المصادر والمراجع التي وصلت إلينا ، وكمثال على ذلك ، فان الشيخ أحمد بن محمد المَقَّرِيّ صاحب كتاب : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، في سبعة مجلّدات كبار ، والذي جمع فأوعى جميع ماجاء عن الأندلس في المصادر العربية الاسلامية تقريباً حتى سنة وفاته في جمادى الآخرة من سنة إحدى وأربعين وألف الهجرية (١٠٤١ هـ ـ ١٦٣١ م) ، لم يذكر عبد الأعلى إلا مرتين في صفحة واحدة من صفحات مجلداته السبع ، في خبر عابر عن استعادة فتح قسم من المدن الأندلسية ثم لم يعد إلى ذكره مرة أخرى ! .

وكلّ الذي نعرفه عنه إنساناً ، أنّه كان أحد أولاد موسى بن نصير الذي استخلف على الأندلس ابنه عبد العزيز ، فلما عبر البحر الى سَبْتَة ، استخلف عليها وعلى طَنْجَة وما والاهما ابنه عبد الملك ، واستخلف على إفريقيّة وأعمالها ابنه الكبير عبد الله (٢٤) .

ورحل عبد الأعلى مع أبيه عن الأندلس الى دمشق (٢٥) ، فلا نعرف هل بقي في دمشق ، أم رحل عنها ، وما هي سماته إنساناً ومتى توفّي واين ؟ وهل كان له عِقب أم لا ؟ ومتى وُلد ومتى تَوفّيّ ؟ وما هي أعمالـه ؟ .

---

(٢٤) ابن الاثير (٤/٥٦٦) .
(٢٥) نفح الطيب (١/٢٧٥) .

إنّه كالشهاب السّاطع ، ظهر فجأة فخطف الأبصار بنوره ، ثم اختفى فجأة إلى الأبد ، فلا يعرف أحد عنه شيئاً .

٢ - القائد :

أوسع ماورد عن فتوحه ، ما جاء في نفح الطيب ، وهذا هو نصّ ما ورد عنه : « وقيل إنّ موسى بن نُصَيْر ، أخرج ابنه عبد الأعلى إلى تُدْمِيْرَ ففتحها ، وإلى غَرْناطة ومَالَقَة وكورة رَيَّة ، ففتح الكلّ . وقيل : إنّه لما حاصر مالَقَة ، وكان ملكها ضعيف الرأي قليل التحفظ ، كان يخرج إلى جِنان له إلى جانب المدينة طلباً للراحة من غُمّة الحصار ، من غير نَصب عَيْنٍ ولا تقديم طليعة ، وعرف عبد الأعلى بأمره ، فأكمنَ له في جَنَبَاتِ الجنةاالتي كان ينتابها قوماً من وجوه فرسانه ذوي رأي وحزم ، أرصدوا له ليلاً ، فظفروا به وملكوه ، فأخذ المسلمون البلد عَنْوَة ، وملأوا أيديهم غنيمة » (٢٦) ، وما ذكرناه في سيرته فاتحاً ، هوما اتفّقت عليه المصادر الأخرى مع ما جاء في : نفح الطيب ، وقد أشرنا إلى تلك المصادر .

ومن جميع ما ذُكر عن فتوح عبد الأعلى ، لايمكن استنتاج سِمات قيادته ، ولكن يمكن أن نذكر ، أنّ موسى بن نُصير وغير موسى ، لايمكن أن يوّلي رجلاً من الرجال ، حتى ولو كان ابنه أو قريبه منصباً قيادياً أيام أيام الحرب . إلاّ إذا كان ذلك الرجل حائزاً على المزايا القيادية التي يجب أن يتحلى بها القائد الذي يتولى منصباً قيادياً في زمن الحرب ، حتى يمكن أن ينجح القائد في قيادته ويملأ منصبه ، ويكون بمقدار منصبه أو أكبر منه ، لا أن يكون أقلّ من منصبه كفايةً واقتدارا ، لأن الكفاية العالية والاقتدار المتميِّز ، هما العاملان اللذان يُعتبران من أهمّ عوامل إحراز النصر أما الكفاية الواطئة والاقتدار الضعيف ، فلا يؤدِّيان إلاّ إلى الهزيمة ،

---

(٢٦) البيان المغرب (٤٤/١) .

وما يتبع الهزيمة من خسائر مادية ومعنوية ، وتؤثر أوّل ماتؤثر في سمعة الذي ولّى القائد الهزيل ومصيره . لذلك نجد أنّ الخلفاء لم يولّوا أبناءهم كافة مناصب قياديّة ، بل ولّوا مَن يستحقّ هذا المنصب حسب ، إذا وجدوا بين أبنائهم مَن يستحقه ، وإلاّ ولّوا مَن يرون فيه الكفاية والاقتدار ، واستعراض قائمة القادة من أبناء الخلفاء وغيرهم ، خير دليل على ذلك .

وعلى ذلك ، فانّ موسى بن نُصَيْر ، وهو مَن نعرف ، من ألمع قادة الفتح الاسلامي ، وأكثرهم كفاية واقتدارا ، لايمكن أن يولّي عبد الأعلى منصب القيادة ، إلاّ إذا كان يتحلّى بالكفاية العالية والاقتدار المتميّز ، وبخاصة في أيام استشراء المقاومة القوطيّة في الأندلس ، فأصبحت تهدّد خطوط مواصلات قوّات المسلمين وجناحيهم الأيمن والأيسر بأفدح الأخطار ، ومن المعلوم أنّ موسى لم يولِ منصب القيادة أبناءه كافة ، بل اكتفى بتولية عبد العزيز وعبد الأعلى في فتوح الأندلس ، وكان له أبناء كثيرون ، ذَكَرَ التاريخ قسماً منهم ، ونسي قسماً منهم ، وحتى الذين تذكّرهم وذكرهم التاريخ ، لم يتولّوا مناصب قياديّة جميعاً ، بل تولاّها قسم منهم فقط ، كما هو معروف .

ويبدو أنّ موسى بن نُصَير ولّى ابنه عبد الأعلى منصباً قيادياً في زمن الفتوح وفي ظروف عصيبة بالغة الخطورة ، قد يؤدي إخفاق المسلمين في معركة واحدة من معارك الفتوح ، إلى انهيار معنوياتهم وارتفاع معنويات القوط ، والى تكبيد المسلمين خسائر فادحة بالأرواح ، وقد تؤدي إلى إخفاق خطط الفتح أو عرقلة مسيرته على الأقل . لذلك فانّ إقدام موسى على تولية

ابنه عبد الأعلى منصباً قيادياً مهماً في جبهة حيويّة ، دليل على أنّ عبد الأعلى ، كان يتحلّى بصفات قيادية أصيلة ، منها : القدرة على إصدار القرار الصحيح السّريع ، والشجاعة الشخصية والاقدام ، والارادة القويّة الثابتة ، وتحمّل المسئولية كاملة وعدم التهرّب منها وإلقائها على عواتق الآخرين ، ونفسية لاتتبدل في حالتى النصر والهزيمة واليسر والعسر ، وسبق النظر وإعداد الخطط المناسبة لما يتوقّع حدوثه سلفاً ، ومعرفة نفسيات مَن يعمل معه وقابلياتهم ، فيستخدم الرجل المناسب للواجب المناسب ، يثق برجاله ويثقون به ويحبّهم ويحبونه ، ذو شخصيّة قويّة نافذة ، وقابليّة بدنيّة متميزة لأنّه في عزّ شبابه ، وله ماض ناصع مجيد ، يكفي أنّه ابن موسى بن نُصير ، وله هو في الفتوح نشاط يُذكر .

وكان يطبّق مبادئ الحرب ، فيعرف كيف يختار مقصده وكيف يعمل على إدامته ، وكان قائداً تعرّضياً لم يتخذ أسلوب الدفاع في حربه ، وكان يطبق مبدأ المباغتة أهم مبادئ الحرب على الاطلاق ، وقد طبق على صاحب مالَقَة مبدأ المباغتة ، فأخذه أخذاً وهو في إحدى بساتينه ، ثمّ فتح مدينته عَنْوَة .

وكان يطبّق مبدأ : حشد القوّة ، فكان يستغل قواته المتيسّرة استغلالاً كاملاً في المكان والزمان الحازمين . ولكنّه كان يطبّق مبدأ : الاقتصاد في المجهود ، فلا يغرّر برجاله ولا يعرّضهم للمهالك ، ولا يفرّط بأرواحهم دون مسوّغ .

وكان يطبّق مبدأ : الأمن ، فلم يستطع عدوّه أن يباغت قوّاته في يوم من الأيام ، وقد استطاع أن يباغت عدوّه كما ذكرنا . وكانت خططه مرنةً

يمكن تعديلها أوتحويرها ، كما كان مرناً في قابليته على الحركة والتنقّل .

وكان يطبـّق مبدأ : التعـّاون ، فتعاونت قوّاته لتحقيق أهدافه في الفتح ، وتعاون مع أخيه عبد العزيز في الفتح ، وتعاون مع قيادته العامة تعاوناً وثيقاً في تحقيق خططها المرسومة له .

وكان يطبـّق مبدأ : إدامة المعنويات ، بالعقيدة الراسخة أولاً ، وبالقيادة المقتدرة ثانياً ، وبالانتصارات المؤزّرة ثالثاً وأخيراً .

وكان يطبـّق مبدأ : الامور الادارية ، فلا نعرف أنّ قوّاته جاعت أو شكت من نقص في أمورها الادارية ، إذ كان المسلمون في الأندلس في ثراء وسعة وبحبوحة من العيش .

وكان يساوي نفسه مع رجاله ، ويستشيرهم عند الملـّمـات .

ولو لم تكن هذه المزيا في عبد الأعلى ، لما ولاه أبوه موسى منصب القيادة، في ظروف قتالية خطيرة .

إنّه قائد جيد ، لم تسمح له ظروفه أن يظهر كفاياته كما يحب ويرضى .

عبد الأعلى في التاريخ :

يذكر التاريخ لعبد الأعلى ، أنـّه كان من أكبر أعوان والده موسى بن نـُصير فاتح شطر الأندلس ، في فتوحه الأندلسيّة .

ويذكر له ، أنّه فتح مناطق واسعة جداً ، في جنوبيّ وجنوب شرقيّ الأندلس ، وطهـّر تلك المناطق من جيوب المقاومة القوطيـّة .

ويذكر له أنّه عاون في القضاء على المقاومة القوطيـّة في جنوبي وجنوب شرقيّ الأندلس ، فحمى جناح قوّات المسلمين الأيمن في الأندلس .

ويذكر لـه ، أنّه سطع فجأة كالنجم ، فبهر بفتوحه الأنظار ، ولكنّه اختفى فجأة كما سطع فجأة ، وبقيت آثاره في الفتح والتاريخ .

رحمه الله جزاء ما قدّم للعرب والمسلمين من فتوح لاتـُنسى ، قائداً فاتحاً ، نشر العربية لغةً والاسلام ديناً ، في جزء كبير من الفردوس المفقود .

عبدالله بن موسى بن نصير اللخمي(1)

فاتح جزيرتي ميورقة(2) ومنورقة(3)

نسبه وايامه الاولى

هو عبد الله بن موسى بن نُصَيْر بن عبد الرحمن بن زيد (٤) ، من بني لخْم (٥) ، ويقال : إنّه مولى لَخْم(٦) . وقيل : إنّه من أراشَة من بِلِيّ (٧) ، وقيل : من بَكْر بن وائل (٨) ، ويذكر أولاده : أنّه من بكر بن وائل ، وغيرهم يقول : إنّه مَوْلى (٩) .

وادّعاء أولاده وأحفاده ، بأنّه عربيّ من بَكْر بن وائِل ، بعد أن

(١) ورد اسم ابيه موسى بن نصير اللخمي في المعارف (٥٧٠) واليعقوبي (٢٢/٣) والبداية والنهاية (١٧١/٩) ورياض النفوس (٧٧/١) .
ولخم : هو مالك بن عدي بن الحارث بن مرة أدد ، انظر جمهرة انساب العرب (٢٢) ، وهم من بني سعد العشيرة من سبأ ، انظر جمهرة انساب العرب (٤١٠ ـ ٤٢٢) ، وانظر بطون لخم في جمهرة انساب العرب (٤٧٧).

(٢) ميورقة : جزيرة في شرقي الأندلس ، بالقرب منها جزيرة يقال لها : منورقة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٢٩/٨) .

(٣) منورقة : جزيرة عامرة في شرقي الأندلس ، قرب ميورقة ، انظر معجم البلدان (١٨٥/٨) .

(٤) البيان المغرب (٣٢/١) .

(٥) بغية الملتمس (٤٤٢) ونفح الطيب (٢٥٤/١) وتاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس (١٤٤/٢) والنجوم الزاهرة (٢٣٥/١) ووفيات الاعيان (٤٠٢/٤) والولاة والقضاة (٥٢) .

(٦) بغية الملتمس (٤٤٢) وجذوة المقتبس (٣١٧) .

(٧) البلاذري (٢٤٨) . وأراشة بن عبيلة بن قسميل بن فران بن بلي من قضاعة، انظر التفاصيل في جمهرة أنساب العرب (٤٤٢) .

(٨) نفح الطيب (٢٣٤/١) والبيان المغرب (٣٢/١) .

(٩) جمل فتوح الاسلام ـ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم الاندلسي (٣٤٤) .

استقرّوا وملكوا في إفريقّية والمغرب والأندلس ، وتأثّلوا وأصبح لهم مكان ومكانة وشأن بين النّاس ، في وقت كان الفخر فيه بالنّسب سِمة من سِمات ذلك العصر ، عصر بني أُميّة في دولتهم ، قد يُؤخذ بمأخذ الدّعاوة لأنفسهم بالنّسب المرموق المفضّل ، لا بمأخذ تقرير الواقع والصّدق .

كما أنّ ادّعاء مَن كان عليهم لا معهم من الناس ، بأنّهم من الموالى لامن من العرب ، قد يكون نتيجة من نتائج تفاخر أولاد عبد الله وأحفاده وتعاليهم بادّعاء النسب المفتعل الموهوم ، فهو ردّ فعل متوقّع لذلك التفاخر بالتزوير والتّعالى بالاختلاق ، فلا يؤخذ به بمأخذ الجدّ ولا يُصدّق ، لأنّ دوافعه عاطفيّة لا واقعيّة ، ووهمية لا حقيقيّة .

إنّه عربيّ (١٠) ، جدّه نُصَير أبو موسى ، وكان اسم نُصير : نَصراً ، فَصُغِّر (١١) ، وكان نُصير من بين سبايا بلدة عَيْن التّمر (١٢)، الذين سباهم خالد بن الوليد المخزوميّ سنة اثنتى عشرّة الهجريّة (٦٣٣م) ، فقد وجد خالد أربعين غلاماً يتعلّمون الانجيل ، عليهم باب مغلق ، فكسره عنهم ، وقال : « وما أنتم ؟ » ، فقالوا : « رُهُن ! » ، منهم نُصَيْر أبو موسى بن نُصَير وجدّ عبد الله بن موسى بن نُصَير ، وكان ينسب نُصَير إلى بني يَشْكُر (١٣) وهو ليس منهم ، فقسّمهم خالد في أهل البلاد(١٤) ، فأصل عبد الله من عين التّمر (١٥) .

---

(١٠) البلاذري (٢٤٨) والنجوم الزاهرة (١/٢٣٥) .
(١١) البلاذري (٢٤٨) .
(١٢) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار (الانبار ــ مدينة الفلوجة على الفرات ، غربي بغداد) غربي الكوفة ، بقربها موضع يقال له : شفاثا ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٢٥٣) .
(١٣) بنو يشكر بن بكر بن وائل ، انظر التفاصيل في جمهرة أنساب العرب (٣٠٨) .
(١٤) الطبري (٢/٥٧٧) وانظر ابن الاثير (٢/١٥١) .
(١٥) البداية والنهاية (٩/١٧١) .

وقد أعتق نُصَيراً بعض بني أُمَيَّة ، فرجع إلى الشّام (١٦) ، ثمّ أصبح من حرس معاوية بن أبي سفيان (١٧) ، ثمّ أصبح على حرس معاوية (١٨) ، وعلى جيوشه (١٩) ، وكانت منزلة نُصير عند معاوية مكينة ، فلما خرج معاوية لقتال عليّ بن أبي طالب ، لم يخرج معه نُصَير ، فقال له معاوية : « وما منعك من الخروج معي ، ولي عندك يد لم تكافئني عليها ؟ ؟» ، فقال : « لم يمكنّي أن أشكرك بكفري مَن هو أولى بشكري منك ! » ، فقال : « وَمَنْ هو؟ ! » ، فقال : « الله عزّوجل » ، فأطرق معاوية مليّاً ، ثم قال : « أستغفر الله » ، ورضي عنه (٢٠) .

ونشأ عبد الله وترعرع وشبّ ، في أحضان أبيه موسى الذي كان قائداً ووالياً ، في ظروف ملائمة لاستكمال شخصيّته ، بالعلم والتدريب وبالاتّصال المباشر بالقادة والولاة والعلماء وأهل التجارب .

وكان التّعليم النّظري لاستيعاب العلوم المتيسِّرة السّائدة في حينه ميسوراً ، ليس لأبناء القادة والولاة والمترفين حسب ، بل لأبناء سائر الناس من مختلف الطبقات ، فنشأ عبد الله ليتعلّم القرآن وعلومه ، والحديث النبويّ الشريف وعلومه ، والتاريخ والسِّير وأيام العرب في الجاهلية والاسلام ، وأتقن علوم العربية صرفاً ونحْواً وبلاغة وبياناً وشعراً ونثرا ، وحفظ نماذج من أقوال الخطباء والبلغاء والشّعراء ، ولم يُغفل الحساب والهندسة وتقويم البلدان .

(١٦) البلاذري (٢٤٨) ومعجم البلدان (٢٦٧/٧) .
(١٧) ابن خلدون (١٨٧/٤) .
(١٨) وفيات الأعيان (٤٠٢/٤) ونفح الطيب (٢٢٤/١) .
(١٩) نفح الطيب (٢٢٤/١) .
(٢٠) وفيات الأعيان (٤٠٢/٤) ونفح الطيب (٢٢٤ ـ ٢٢٥) .

وكما كان يحرص الآباء على تعليم أولادهم العلوم المختلفة والآداب والفنون ، كانوا يحرصون أيضاً على تعليم أولادهم العلوم العسكرية العمليّة والنظريّة ، في تلك الأيام التي تعجّ بالجهاد والفتوح .

وقد تعلّم عبد الله العلوم العسكرية النظريّة : إقامة المعسكرات ، تنظيم المعسكر ، اختيار مناطق التعسكر وشروط المعسكر الجيّد ، وفنون التعبية كاخراج المقدّمات والمؤخّرات والمجنبات ، مناطق التعسكر وشروط المعسكر وأساليب الحماية المختنفة ، والإستفادة من الأرض، وزرع الربايا والكمائن ، ومعالجة المشاكل غير المتوقعة وحلّ المعضلات ، وتأمين القضايا المعنوية والإدارية ، وكلّ هذه العلوم تُلقّن من قادة مجرّبين لهم في الجهاد باع طويل .

كما تدرّب عبد الله على الفنون العسكرية العمليّة : ركوب الخيل ، والرّمي بالسّهام ، والتّصويب الدّقيق، والضرب بالسيوف ، والطّعن بالرماح، والسّباحة ، وتحمّل المشاق العسكرّية : سيراً على الأقدام مسافات طويلة في أيام متعاقبة وظروف قاسية صيفاً وشتاء، والحرمان من الطّعام والشّراب مدّة من الزّمن ، والتعوّد على تناول الطعام الخشن والماء العسر ، والابتعاد عن المأكل والشراب السّائغ مدة التدريب ، وهذا ما نُطلق عليه في المصطلحات العسكرية الحديثة التدريب العنيف .

ولكنّ هذا التدريب العسكريّ وحده لايكفي ، لأنّه تدريب (فرديّ) ، فلا بّد من تلقّي التدريب (الإجماليّ) ، وهو ممارسة الجهاد قائداً وجنديّاً في ساحة القتال ، ليطبّق ما تعلّمه (فرداً) من فنون عسكرية عمليّة ، على القتال ضمن المحاربين تطبيقاً عمليّاً ، وهذا ما نطلق عليه تعبير : تعليم المعركة ، إذ لافائدة من التّدريب الفرديّ ، إلا اذا طبّق عملياً في التدريب الإجمالي ، وأفضل أنواع التدريب الاجمالي وأكثرها فائدة ، هو ممارسة القتال عملياً في ميدان القتال .

وقد كان أسلوب التدريب على القتال ، شائعاً في عهد بني أَمَيَّة عامة ، بما في ذلك أبناء الخلفاء والقادة والولاة ، أما موسى بن نُصير ، فقد دأب على زجّ أولاده في معارك الجهاد ، فزج بعبد الله ومروان ابنيه في معارك الجهاد الافريقيّة (٢٢) ، وزج بعبد العزيز وعبد الأعلى في معارك الجهاد الأندلسيّة .

وكان التدريب العملي في الأمور الادارية ميسوراً أيضاً لعبد الله وسائر أبناء موسى بن نُصَير ، لأنّهم كانوا إلى جانب والدهم الذي كان والياً على إفريقيّة والمغرب ، فكان عبد الله قريباً من أكبر ولاة بني أُمية ومن ألمعهم وأقدرهم ، يرى كيف يصرِّف الأمور ، وكيف يصدر القرارات الخطيرة ، فكان يرى ويسمع ما يحدث في القمّة من تصريف أمور الدولة ، وهذه تجارب عمليّة مفيدة للغاية في تكوين شخصيّة عبد الله وإكمال تعلّمه وتدريبه .

لقد تهيّأ لعبد الله العلم المكتسب ؛ والتجربة العملية ، مما كان له أثر عميق في تكوين شخصيّته إدارياً وقائدا .



(٢٢) البيان المغرب (١/ ٤٠) .

الفـاتـح

١ في إفْرِيقِية : (٢٣)

أصبح عبد الله ساعد والده الأيمن ، بعد أن أصبح والده على افريقيّة

(٢٣) أطلق الفينقيون لفظ : افري (Aphri) على أهل البلاد الذين كانوا يسكنون حول مدينتهم القديمة (Utica) وعـاصمتهم قرطاجنـة مدينتهم الحديثة ، وعنهم اخذه اليونان ، فأطلقوه على أهل البلاد الأصليين الذين يسكنون المغرب من حدود مصر الى المحيط . وقد سميت هـذه المنطقة : (افريكا) ، اي بلاد الأفري ، واستعمل هذا الاسم للدلالة عـلى هذه المنطقة . واخذ معنى هذا اللفظ يتسع شيئا فشـيئا كلما اتسـع سلطان الرومان في أفريقية ، فأصبحت ولاية افريقية القنصلية تضـم ولاية افريقية الأصلية والجزء الشرقي من تـونس الحـالية ، والمنطقـة الداخلية التي تمتد حتى فزان ، اما بقية افريقية الرومانية ، فسـمي الجزء المقابل منها للجزائر الحالية : نوميديا ، ويلي ذلك موريتانيـا بقسـميهـا القيصرية والطنجية ، فأفريقية تشمل كل ما دخل في طاعة الروم مـن هذه القارة من برقة الى طنجة .

وعن البيزنطيين أخذ العرب لفظ : افريقية ، فأرادوا به في أول الأمر كل مايلي مصر غربا حتى ساحل المحيط الاطلسي ، وهذا هو مفهوم افريقية العام الذي يكاد يعادل مفهوم المغرب. أما مفهوم افريقية الخاص، فهو يعني الأجزاء الشرقية من المغرب التي تعادل ولاية افريقيةالرومانيةالاصلية، اي البلاد التونسية الحالية مع بعض الأجزاء الغربية لولاية طرابلس (ومنها المدينة) والتخوم الشرقية لبلاد الجزائر العربيـة الى بجـاية في ولايـة قسنطينة ، وعلى ذلك فان اقليم افريقية هو أول أقاليم المغرب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/ ٣٠٠) . وآثـار البلاد واخبـار العبـاد (١٤٨) ووصف افريقية للبكري (٢١٠) ، وفيه جاء رسم موريتانيا هكذا (Mauretania) ، وانظر فتح العرب للمغرب (١ ــ ٢) وتاريخ المغرب العربي (١١) ، والمؤرخون والجغرافيون العرب ، يذكرون أن افريقيـة سميت باسم شخص معين ، انظر معجم البلدان (١/ ٣٠٠) ، ومنهم مـن يذكر انها مشتقة من لفظة : فرق ، انظر تاريخ ابن خلدون (٦/ ٩٨) .

والمغرب (٢٤) ، يستعين به في الفتوح ، ومن الواضح أنّه رافق أباه موسى في فتوحه ، قبل أن يتولّى قيادة مستقلّة ، وكان من أسباب مرافقته لأبيه : تدريبه عملياً في ميدان الجهاد ، واختبار قدراته قائداً ومجاهدا .

ويبدو أنّه أصبح في سنّ يصلح معها تولّي القيادة بعد تدريبه على واجباتها عملياً ، وبعد نجاحه في إبراز كفايته قائداً ومجاهدا ، فولاه أبوه القيادة في إفريقية ، ليعمل تحت إشرافه قائداً مرءوساً .

وكان أوّل فتوح موسى بن نُصَيْر في إفريقيّة قلعة زَغْوان (٢٥) وبينها وبين القيروان مسيرة يوم كامل ، وبنواحي زغوان قبائل من البربر ، بعثَ إليهم موسى خمسمائة فارس ، ففتحها وغنم منها عشرة آلاف من السبايا ، فكان ذلك السّبي أوّل سبي دخل القيروان (٢٦) ثم وجّه موسى ابنه عبدالله (٢٧) إلى بعض نواحي إفريقيّة ، فأتى بمائة ألف رأس من السّبي ، ثمّ وجّه ابنه مروان (٢٨) ، فأتى بمثلها ، فكان الخُمس يومئذ ستين ألفاً . وكتب موسى إلى عبد العزيز بن مروان الذي كان يومئذ على مصر ، والذي كان موسى مرتبطاً به مباشرة من الناحية الادارية ، يعلمه بالفتح ويُعلمه أنّ

---

(٢٤) المغرب عند المؤلفين الأوائل ، يبدأ مما يلي افريقية غربا الى سواحل المحيط، انظر المسالك والممالك (٣٣) ومعجم البلدان (١٠٣/٨) ، وفيه : أن الاندلس من المغرب أيضا .

(٢٥) زغوان : جبل بأفريقية بالقرب من تونس ، وهو جبل منيف مشرف ، يرى على مسيرة الايام الكثيرة ، فيه قرى كثيرة آهلة كثيرة المياه والثمار ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٩٤/٤) .

(٢٦) البيان المغرب (٤٠/١) والامامة والسياسة (٦٣/٢) .

(٢٧) ورد اسمه : عبدالرحمن بن موسى ، في الامامة والسياسة (٦٣/٢) ، بينما ورد اسمه في البيان المغرب (٤٠/١) : عبدالله بن موسى ، وكذلك في ابن الاثير (٥٤٠/٤) ، وهو الصواب .

(٢٨) في ابن الاثير (٥٤٠/٤) ، انه هارون لا مروان ، والأول أصح .

الخُمس بلغ ثلاثين ألفاً ، وكان ذلك وهماً من الكاتب : كتب ثلاثين ألفاً بدلاً من ستين ألفاً فلما قرأ عبد العزيز بن مروان الكتاب ، وأنّ الخُمُس من السَّبى ثلاثون ألفاً ، استكثر ذلك ، ورأى أنّه وهْمٌ من الكاتب لكثرته ، فكتب إلى موسى يقول له : « إنّه قد بلغني كتابك ، تذكر أنّ خُمس ما أفاء الله عليك ثلاثون ألف رأس ، فاستكثرت ذلك ، وظننته وهماً من الكاتب ، فاكتب بالحقيقة » . فكتب إليه موسى : « قد كان ذلك وهماً من الكاتب على ما ظنّه الأمير ، والخمس أيها الأمير ستون ألف رأس ثابتاً بلا وَهْم ! » ، فلما بلغه الكتاب ، عجب كلّ العجب وامتلأ سروراً ، وكان الخليفة عبد الملك بن مروان كتب إلى أخيه عبد العزيز : « قد بلغ أمير المؤمنين ما كان من رأيك في عزل حسّان (٢٩) وتولية موسى ، وقد أمضى لك أمير المؤمنين ما كان من رأيك وولاية مَن ولّيتَ » ، فكتب عبد العزيز إلى أخيه يعلمه بالفتح وبكتاب موسى (٣٠) .

ومن الواضح ، أن هناك مبالغة شديدة في عدد الأسرى ، فاذا كان الخمس ستين ألفاً ، فمعنى ذلك أنّ تَعْداد السَّبى يكون ثلاثمائة ألف . فاذا كان سبى زغوان عشرة آلاف ، وسبى عبد الله مائة ألف ، وسبى مروان مائة ألف ، فيكون المجموع عشرة آلاف ومائتي ألف ، لاثلاثمائة ألف (٣١) .

وقد ورد في مصدر آخر ، أنّ تعداد سبى عبد الله ، بلغ ألف رأس (٣٢) فقط ، وهذا عدد مناسب معقول ، فاذا كان تعداد سبى مروان ألف رأس أيضاً وتعداد سبى موسى في زغوان مثل هذا العدد ، فيكون مجموع السّبى ثلاثة آلاف

---

(٢٩) حسان بن النعمان الأزدي الغساني : انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح المغرب (١٧٢/١ – ٢٢٠) .

(٣٠) البيان المغرب (٤٠/١) والامامة والسياسة (٦٣/٢) .

(٣١) قادة فتح المغرب العربي (٢٣١/١) .

(٣٢) ابن الأثير (٥٤٠/٤) .

رأس ، ويكون الخمس من هذا ستمائة رأس ، لاستين ألفاً ، ويبدو أنّ الناسخ أخطأ في النقل ، فأضاف لكل عدد صفرين إلى اليمين من العدد الحقيقي الأصليّ .

ودلالة أعمال موسى بن نُصير هذه ، أنّه استطاع القضاء على جيوب المقاومة في إفريقية ، وأنّه استطاع إخضاع قبائل البربر التي خرجت على الطّاعة ، بعد مسير حسّان بن النّعمان إلى المشرق ، وأنّ موسى أراد ان يحلّ قضايا القبائل المتمرّدة حلاّ جذريّاً ، فعاقب الخارجين عليه عقاباً صارما .

وبذلك استطاع موسى ، أن يجعل من منطقة القيروان ، وما حولها ، قاعدة أمينة للمسلمين ، ينطلق منها موسى وهو أمين على خطوط مواصلاته ، لتنفيذ خططه في الفتح متغلغلاً في المغرب الأوسط (٣٣) والمغرب الأقصى (٣٤) .

وكان ما أنجزه موسى ، تمّ بمعاونة أولاده ، وعلى رأسهم أكبرهم سنّاً : عبد الله ، ويبدو أنّ هذا الفتح الافريقي ، تمّ سنة خمس وثمانين الهجرية ، قُبيل وفاة عبد العزيز بن مروان ، لأن عبد العزيز توفي سنة خمس وثمانين الهجرية (٣٥) كما هو معلوم ، أي سنة (٧٠٤ م) .

---

(٣٣) المغرب الأوسط : من شرقي وهران الى آخر حدود مملكة بجاية ، انظر تقويم البلدان (١٢٢) ، وانظر التفاصيل عن المغرب في أحسن التقاسيم (٢١٥ ـ ٢٣٦) والأعلاق النفيسة (٣٤٧ ـ ٣٥٣) والمسالك والممالك لابن خرداذبة (٨٥ ـ ٩٣) ومختصر كتاب البلدان (٧٨ ـ ٨٨) وصفة المغرب (٢ ـ ٢٩) والمسالك والممالك للاصطخري (٣٣ ـ ٣٨) ، وهي جمهورية الجزائر في الوقت الحاضر ، انظر تاريخ المغرب العربي (١٢) .

(٣٤) المغرب الأقصى : من ساحل البحر المحيط غربا ، الى تلمسان شرقا ، ومن سبتة الى مراكش الى سجلماسة ، وما في سمتها شمالا وجنوبا ، انظر تقويم البلدان (١٢٢) والمصادر المنوه عنها في المادة (١) أعلاه ، وهي المملكة المغربية في الوقت الحاضر ، انظر تاريخ المغرب العربي (١٢) .

(٣٥) البيان المغرب (٤١/١) وابن الأثير (٥١٣/٤) .

٢ . في البحر :

أ . في صِقِلِّيَة (٣٦) :

أمر موسى بن نُصَير بالتأهّب لركوب البحر ، وأعلمهم أنّه راكب بنفسه ، فرغب الناس وتسارعوا ، فلم يبق شريف ممّن كان معه إلاّ وقد ركب الفُلك . وكان موسى قد مهّد لجهاده في البحر ، بالاهتمام بعمران مدينة تُونس ، وتوسيع دار الصناعة بها ،وشق القناة التي توصل بين الميناء رادِس (٣٧) وبين المدينة ، على طول اثنى عشر ميلاً ، حتى أقحمه دار الصناعة ، فصارت مشتى للمراكب إذا هبّت الأنواء والأرياح ، ثمّ أمر بصناعة مائة مركب (٣٨) .

وعقد موسى لواء هذه الغزوة لابنه عبد الله ، وأمّره على رجالها وولاّه عليهم ، ثم أمره أن يَتوجّه إلى هدفه ، وإنّما أراد موسى بما أشار من مسيره أن يركب أهل الجلد والنكاية والشّرف ، فسمِّيت هذه الغزوة : غزوة الأشراف . وسار عبد الله بمراكبه ، وكانت تلك الغزوة أوّل غزوة غُربت في بحر إفريقيّة (البحر الأبيض المتوسط المقابل لافريقيّة) ، فأصاب في غزوته تلك صقلّية ، وأفتتح مدينة فيها ، فبلغ سهم الرّجل مائة دينار ذهبا ، وكان المسلمون مابين الألف إلى التسعمائة ، ثمّ انصرف غانماً سالما ، وكان ذلك في سنة خمس وثمانين الهجرّية (٣٩) (٧٠٤ م) .

---

(٣٦) صقلية : من جزائر البحر الأبيض المتوسط المعروفة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٣/٥) .

(٣٧) رادس : البحر الذي على ساحل تونس بافريقية يقال له : رادس ، وبذلك سمي ميناها : ميناء رادس . ورادس : اسم موضع كالقرية ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٠٣/٤ – ٢٠٤) .

(٣٨) الامامة والسياسة (٧٠/٢) .

(٣٩) الامامة والسياسة (٧٠/٢ – ٧١) .

ومن الواضح أنّ هذه الغزوة كانت غارة من الغارات ، ولم تكن فتحاً من الفتوح ، ولكنّها لم تكن غارة من غارات اقتناص المغانم ، كما يتوهّم قسم من المؤرخين الأجانب ، فقد كانت الغنائم متيسّرة في البرّ الافريقي كما رأينا ،كما لم يكن المسلمون يومئذ يستهدفون المغانم غاية لهم من الغارات، بل كانت هذه الغارة دفاعيّة ، فلا بدّ من أن الرّوم قد اتّخذوا من صقلّية قاعدة أمامية متقدمة لهم ، ينطلقون منها للتعرّض بالسّاحل الافريقي الذي فتحه المسلمون ، فكان الموقف العسكريّ يقضي على حماة تلك المناطق من المرابطين على أراضيها ، أن يدافعوا عنها تجاه التعرّض الرّومي ، بصدّه أولاً ، وبالهجوم على قاعدة انطلاقه ثانيا ، وكان الهجوم على صقلّية انجع وسائل الدفاع عن السّاحل الافريقي ، فليست غارة عبد الله يومئذ على صقلّية إلاّ للتعرّض بالرّوم الذين اتّخذوا منها قاعدة أمامية متقدمة للتعرض بالساحل الأفريقي الاسلاميّ، وما كان أمام المسلمين من خيار غير تلقين الرّوم فيها ، بالغارة عليها درساً لاينسونه ، وقد تولّى عبد الله قيادة تنفيذ هذا الدرس على الرّوم في صقلّية .

وحين نقول : إنّ المسلمين يومئذ ، لم يكونوا يستهدفون المغانم غاية لهم من الغارات أو من مختلف أنواع الجهاد ، فهذا لايمنع أن يكون بينهم مَن يستهدف المغانم ، ولكن القاعدة هي أن يكون الجهاد لاعلاء كلمة الله ، والاستثناء هو استهداف المغانم ، والعبرة بالقاعدة لا بالاستثناء .

وفي سنة سبع وثمانين الهجريّة (٧٠٥م) أغزى موسى بن نُصَير ابنه عبد الله بن موسى سَرْدَانية (٤٠) ، فافتتح نِوَلَة (٤١) وعاد

(٤٠) سردانية : جزيرة في بحر المغرب كبيرة ، ليس هناك بعد الاندلس وصقلية أكبر منها ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٦٦) .

(٤١) نولة : حصن من اعمال مرسية بالاندلس ، انظر معجم البلدان (٨/٣٢٨)، ويبدو انها حصن من حصون جزيرة سردانية ، كما يدل على ذلك سياق الخبر .

سالماً غانماً (٤٢)

وهذه غارة أخرى على قاعدة من قواعد الرّوم الأمامية المتقدّمة ، ومثل هذه الغارات التأديبية ، مفيدة للغاية لحماية المناطق السّاحلية من إفريقيّة ، من غارات الرّوم البحريّة ومن محاولاتهم التعّرضية المستمرة بالمسلمين في تلك المناطق ، طمعاً في استعادة افريقية الى حكمهم من جديد : وتلك الغارات لاتقنعهم عملياً بصعوبة الاستعادة فحسب ، بل تلقنهم درساً قاسياً في عقردارهم وفي قواعدهم البحرية ، تثبت لهم بالهجوم عليهم لابالدفاع المستّكين في المناطق المفتوحة ، أنّ محاولات الأستعادة لن تمرّ بدون عقاب صارم ، يضع حداً حاسماً لتلك المحاولات .

هكذا فتح المسلمون مافتحوا ، وهكذا حافظوا على مافتحوا .

ب . في مَيُورْقَة ومَنُورْقَة :

بعد أن أنجز موسى بن نصُيَر استعادة فتح المغرب الأوسط ، وأكمل فتح المغرب الأقصى ، وفتح طَنْجَة ، أصبحت السواحل المغربية المواجهة لبعض جزر البحر الأبيض المتوسط وللأندلس ، معرضة لهجمات الرّوم على الفاتحين ، لغرض استعادة تلك المناطق الغنية الى سيطرتهم ، ولهجمات القُوْط الذين يحكمون الأندلس لغرض إبعاد المسلمين عن بلادهم ، وحمايتها من غزو المسلمين لها .

وكان من جزر البحر التي اتّخذها الرّوم والقوط قواعد متقدمة لهم ، جزيرتا : ميورقة ومنورقة ، وهما جزيرتان في البحر الابيض المتوسط ، بين صقليّة وجزيرة الأندلس (٤٣) .

وفي سنة تسع وتسعين الهجريّة (٧٠٧م) ، جهّز موسى بن نُصَيْر ولده

---

(٤٢) النجوم الزاهرة (٢١٦/١) ، وانظر العبر (١٠٤/١) وشذرات الذهب (٩٨/١) والبداية والنهاية (٧٧/٩) .

(٤٣) النجوم الزاهرة (٢١٦/١) ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط (٣٠٥/١) وابن الأثير (٥٤٠/٤٠) .

عبد الله ، فافتتح هاتين الجزيرتين وغنم منها ما لا يحصى ، وعاد سالماً (٤٤) .

ويبدو أنّ المسلمين ، بعد افتتاح هاتين الجزيرتين ، تركوا فيهما حاميتين صغيرتين منهم ، لحرمان الرّوم والقوط من الاستفادة منهما قاعدتين لقواتهم ، للتعرّض بالمسلمين في السّاحل المغربيّ المقابل لهاتين الجزيرتين ، وللاستفادة منهما في مراقبة النشاط البحري للرّوم والقوط ، وانذار المسلمين بكلّ نشاط معادٍ بوقت مبكرٍ ، لاتخاذ التدابير الضرورية اللازمة لاحباطه .

اما بالنّسبة للأندلس ، فقد قضى المسلمون على نشاط القُوْط المعادي لهم فيها ، والذي عرقل محاولات المسلمين لفتح مدينة سَبْتَة على السّاحل المغربيّ القريبة من الأندلس ، والتي يفصل بينها وبين الأندلس مضيق طارق ، فقد عاون الملك غَيْطَشَة آخر ملوك الأندلس قبل لذريق ، حاكم سبتة الدوق يُلْيَان ، على الثبات تجاه محاولة موسى بن نُصَير لفتح سبتة ، فنجح يليان في صدّ المسلمين عن مدينته ولو الى حين من الزمن لم يطل أمده .

أما الاندلس ، ففتحها المسلمون ابتداء من سنة اثنتين وتسعين الهجريّة (٧١١م) حتى سنة خمس وتسعين الهجريّة (٧١٤) م ، وبذلك انتهى خطر القوط على السّاحل المغربيّ من جهة ، واطمأن المسلمون على حاضر الفتح الاسلامي في إفريقيّة والمغرب ومستقبله . وبخاصة السّاحل الافريقي والسّاحل المغربيّ على البحر الأبيض المتوسّط . وذلك بحشد المرابطين في مدن السّاحل ، وبتصنيع السّفن والمراكب الحربية محليّاً بأيدي المسلمين وبمصانعهم الحربيّة ، وبفتح الجزر المهمّة في البحر التي يمكن أن تكون قواعد للروم أو القُوْط أو أي عدوّ للمسلمين ، وبالسيطرة على مياه البحر بالأسطول والمجاهدين وبالجزر المفتوحة .

لقد أعدّ موسى بن نُصير ابنه الأكبر عبد الله ، ليكون خلفه على إفريقيّة

---

(٤٤) ابن الأثير (٤/٥٤٠) .

والمغرب ، لذلك وجّهه من أوّل الأمر إلى فتوح إفريقيّة والمغرب ، وإلى فتوح الجزر التي تحمي سواحل إفريقية والمغرب، ولم يشغله فيفتوح الأندلس ليبقى متفرغاً إلى واجبه الأصلي : ولاية إفريقيّة والمغرب ، وهي الولاية الرئيسة التي كانت الأندلس تابعة لها ، إذ كان والى إفريقية والمغرب هو الذي يعيّن والي الأندلس .

الانســان

حين استدعى الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان من الأندلس موسى ابن نُصَير إلى دمشق ، استخلف على الأندلس ابنه عبد العزيز ، فلما عبر البحر إلى سَبْتَة استخاف عليها وعلى طَنْجَة وما والاهما ابنه عبد الملك ، واستخلف على إفريقية وأعمالها ابنه الكبير عبد الله (٤٥) وكان ذلك سنة خمس وتسعين الهجرية (٤٦) (٧١٤م) .

وكان موسى قد اسخلف ابنه عبد الله على إفريقيّة سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٧١٢م) حين عبر موسى إلى الأندلس فاتحا (٤٧) ، فكان عبد الله على إفريقيّة والمغرب من سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٧١١م) في الواقع .

ولم يكن استدعاء موسى من الأندلس إلى دمشق طبيعيّاً ، ولكن بعد وصوله إلى دمشق،تسامع الناس باضطهاده ، فأصبحمصير موسى ومصير أولاده في مهب الريح حيث أصبح موسى من المغضوب عليهم من الخلافة وأصبح أولاده تبعاً له كذلك ، وأصبح موسى وآل بيته وبخاصة أولاده الذين يتولون مناصب إداريّة وقيادية رجالاً بلا غد .

---

(٤٥) ابن الأثير (٥٦٦/٤) والبيان المغرب (٤٣/١ ـ ٤٤) ونفح الطيب (٢٨٦/١) وتاريخ خليفة بن خياط (٣١١/١) .

(٤٦) البيان المغرب (٤٣/١) ونفح الطيب (٢٣٤/١ و ٢٧٧) .

(٤٧) البيان المغرب (٤٣/١) ونفح الطيبة (٢٣٣/١) .

ولم يطل انتظار عبد الله ، فقد عزله سليمان بن عبد الملك بن مروان عن إفريقية والمغرب ، وولّى مكانه محمّد بن يزيد مَوْلى قُريش . فقد قال سليمان ابن عبد الملك لرجاء بن حَيْوَة (٤٨) : « أريد رجلاً له فضل في نفسه ، أوليه إفريقيَّة » ، فقال له : « نعم » ، فمكث أياماً ، ثم قال : « قد وجدت رجلاً له فضل» ، قال : « مَن هو ؟ » ، قال «محمد بن يزيد مولى قريش» ، فقال: « أدْخِلْه عليّ ! » فأدخله عليه . فقال سليمان : « يامحمّد بن يزيد ! اتَّقِ الله وحده لاشريك له ، وقُمْ فيما وليتُك بالحقّ والعدل ! وقد وليّتكَ إفريقيّة والمغرب كلّه » ، فودّع محمد بن يزيد سليمان بن عبد الملك وانصرف وهو يقول : « مالي عُذْرٌ عند الله إن لم أعدل » . وفي سنة سبع وتسعين الهجريّة (٧١٥م) ، استقرّ محمدبن يزيد بافريقيّة بأحسن سيرة وأعدلها . ثم وصله الأمر بأخذ عبد الله بن موسى بن نُصَير ، وتعذيبه ، واستئصال أموال بني موسى ، فسجنه محمّد وعذّبه ، ثمّ قتله بعد ذلك ، وكان سليمان قد أمره بأخذ أهل موسى وولده وكلّ من تلبّس به ، واستئصال أموالهم وتعذيبهم ، حتى يؤدوا ثلاثمائة ألف دينار (٤٩) .

---

(٤٨) رجاء بن حيوة الكندي الشامي الفلسطيني ، ويقال : الأردني : التابعي الامام ، روى عن كثير من الصحابة وعن خلائق من التابعين ، وروى عنه جماعة من التابعين ، قال عنه بعض من رآه : «ما رأيت شاميا أفقه من رجاء بن حيوة» ، وكان ثقة عالما فاضلا كثير العلم ، وقال مسلمة بن عبدالملك : «في كندة ثلاثة رجال ، ان الله لينزل الغيث بهم ، وينصر بهم على الأعداء ، أولهم رجاء بن حيوة» ، ومناقبه كثيرة مشهورة . قال البخاري : «قيل لرجاء ، مالك لا تأتي السلطان ؟ وكان يقعد عنهم ، فقال : يكفيني الذي تركتهم له ، يعني رب العالمين سبحانه وتعالى» ، وكان قاضيا، واجمعوا على جلالته وعظم فضله في نفسه وعلمه ، وتوفى سنة اثنتيعشرة ومائة الهجرية رحمه الله ، انظر : طبقات ابن سعد (٤٥٤/٧ ــ ٤٥٥) وتهذيب الأسماء واللغات (١٩٠/١) وتهذيب التهذيب (٢٦٥/٣ ــ ٢٦٦) والبداية والنهاية (٣٠٤/٩) .

(٤٩) البيان المغرب (٤٧/١) .

وقَتْلُ عبد الله وتعذيبه وسجنه ، بأمرِ سليمان بن عبد الملك ، وتنفيذ عامله محمد بن يزيد ، أمور يصعب تصديقها ، وبخاصة قضية قتل عبد الله ، إذ ليس من السهل قتل مسلم في تلك الأيام ، بدون اقتراف ما يسوّغ قتله شرعا . ومما يزيد في الشك بذلك ، أنّ القتل جرى بأمر سليمان ، وهو : « مفتاح الخير ، أطلق الأسارى ، وخلّى أهل السّجون ، وأحسن إلى الناس ، واستخلف عمر بن عبد العزيز (٥٠) » ، كما وصفه المؤرخون ، فمن الصعب أنّ نصدّق أنّه يأمر بقتل عبد الله ، وهو قادر على حجزه أو ترحيله بسهولة ويُسر . كما أنّ من الصعب تصديق أنّ محمد بن يزيد ينفّذ حكم الاعدام بعبد الله ، وهو من المعروفين بحسن السيرة والعدل (٥١) ، ويكفي أنّ رجاء بن حَيْوَة الإمام المحدّث الفقيه التابعي الذي لاتأخذه في الحقّ لومة لائم ، قد زكّى محمد بن يزيد لولاية إفريقيّة والمغرب . ولو لم يكن عَدْلاً متميزاً بين العدول ، لمارشحه رجاء لهذا المنصب ولما زكّاه .
ولا عبرة بترديد قسم من المؤرخين قصّة سجن عبد الله وقتله (٥٢) ، فهم ينقلون عن بعضهم بالتعاقب .

والدليل على أنّ محمد بن يزيد لم يقتل عبد الله ، ماذكره بعض المؤرخين المعتمدين ، من أنّ سليمان بن عبد الملك عزل عبد الله بن موسى ابن نصير ، واستعمل محمد بن يزيد على إفريقية سنة سبع وتسعين الهجرية ،

---

(٥٠) الطبري (٥/٣٠٤) .

(٥١) البيان المغرب (١/٤٧) ، وفي تاريخ خليفة بن خياط (١/٣٢٤) ، أن سليمان أقره على افريقية بعد أبيه موسى ولم يعزله الا سنة سبع وتسعين الهجرية .

(٥٢) النجوم الزاهرة (١/٢٣٥) .

فلم يزل عليها حتى مات سليمان (٥٣) ولا ذكر لسجن عبد الله وتعذيبه وقتله في تلك المصادر .

ولعلّ مما يضاعف الشكّ ، في صحّة ماجاء ، من أنّ محمّد بن يزيد عامل سليمان بن عبد الملك قد سجن وعذّب وقتل عبد الله بن موسى ، ما ذكره البلاذريّ ، من أنّ عبد الله كان لايزال حيّاً يرزق في القيروان ، بعد رحيل محمد بن يزيد معزولاً عن إفريقية والمغرب : « ثم لما كانت خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه (٥٤) ، ولّى المغرب إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر مولىبنى مَخْزومٌ (٥٥) ، فسار أحسن سيرة ، ودعى البربر الى الاسلام ، وكتب إليهم عمربن عبد العزيز كتُباً يدعوهم بعُد إلى ذلك ، فقرأها إسماعيل عليهم في النواحي ، فغلب الاسلام على المغرب . ولما ولي يزيد بن عبد الملك (٦٥) ، ولّى يزيد بن أبي مُسْلِم (٥٧) مَوْلى الحجّاج بن يوسف إفريقيّة والمغرب في سنة اثنتين ومائة الهجريّة ، وكان حرسه البربر ، فوسم كلّ امرئ منهم على يده : (حَرَسِيّ) (٥٨) ،

(٥٣) ابن الأثير (٥/٢٣) ، من دون أن يذكر ان سليمان أمر محمد بن يزيد بسجن عبدالله بن موسى وتعذيبه وقتله ، ولو كان سليمان قد أمر بذلك ، لما أغفله المؤرخ ابن الأثير ، ويبدو انه وجده خبرا متهافتا يصعب تصديقه ، فأغفله اغفالا كاملا ، ولم يتطرق اليه من قريب أو بعيد .

(٥٤) مات سليمان بن عبدالملك سنة تسع وتسعين الهجرية ، فخلفه عمر بن عبدالعزيز ، انظر ابن الأثير (٥/٣٧ ـ ٣٨) والعبر (١/١١٨) والبيان المغرب (١/٤٨) .

(٥٥) انظر مجمل سيرته في البيان المغرب (١/٤٨) .

(٥٦) توفى عمر بن عبدالعزيز سنة احدى ومائة الهجرية ، فخلفه يزيد بن عبدالملك ، انظر ابن الأثير (٥/٥٨) و (٥/٦٧) والعبر (١/١٢٠) والبيان المغرب (١/٤٨) .

(٥٧) انظر مجمل سيرته في البيان المغرب (١/٤٨) .

(٥٨) حرسي منسوب الى الحرس ، وهم أعوان الملك .

فأنكروا ذلك وملّوا سيرته ، فدبّ بعضهم إلى بعض وتضافروا على قتله ، فخرج ذات عشيّة لصلاة المغرب ، فقتلوه في مصلاّه ، فولّى يزيد بن بِشْر ابن صَفْوان(٥٩) الكلبّي ، فضرب عنق عبد الله بن موسى بن نُصَير بيزيد ، وذلك أنّه اتُّهم بقتله وتأليب الناس عليه(٦٠)» ، ومعنى ذلك ، أنّ محمد بن يزيد لم يقتل عبد الله بل قتله يزيد بن بِشر بن صَفْوان الكلبّي ، الذي تولّى إفريقيّة والمغرب ليزيد بن عبد الملك ، سنة ثلاث ومائة الهجرية (٦١) (٧٢١م).

ومن الواضح ، أنّ رواية البلاذري هذه ترجح على الرواية الأولى ، لأنّ من الصعب تصديق أنّ سليمان بن عبد الملك ، هو الذي أمر بسجن عبد الله وتعذيبه وقتله ، ويكفي أنّه أقرّه على المغرب وافريقيّة بعد أبيه موسى ابن نصير ، ولم يعزله إلاّ في سنة سبع وتسعين الهجرية (٦٢) ، وإلاّ لما أبقاه في منصبه نحو سنتين ، ولَعزَلَه فوراً . ولأنّ من الصعب تصديق أنّ محمد ابن يزيد ، يمكن أن يُقدم على قتل عبد الله أو غيره ظلماً ، وهو مَن هو في حسن سيرته وعدله (٦٣) ، ويكفي أنّه مرشّح رجاء بن حَيْوَة وهو مَنْ هو في استقامته وحرصه على مصلحة المسلمين العليا .

أما يزيد بن أبي مُسلم الذي قَدِمَ على إفريقيّة سنة اثنتين ومائة الهجرية والياً عليها ليزيد بن عبد الملك ، فقد كان مولى الحجّاج بن يوسف الثّقفي وصاحب شرطته ، وكان ظلوماً غشوما ، وكان البربر يحرسونه ، فقام على المنبر خطيباً فقال : « إني رأيت أن أرسم اسم حرَسِيّ ، على أيديهم ، كما تصنع ملوك الرُّوم بحرسها ، فأرسم في يمين الرّجل اسمه ، وفي يساره :

(٥٩) انظر مجمل سيرته في البيان المغرب (٤٩/١) .
(٦٠) البلاذري (٣٢٣ ــ ٣٢٤) .
(٦١) البيان المغرب (٤٩/١) .
(٦٢) تاريخ خليفة بن خياط (٣٢٤/١) .
(٦٣) البيان المغرب (٤٧/١) .

حَرَسِيّ ، ليُعْرَفوا بذلك من بين سائر الناس،فاذا وقفوا على أحد ، أسرع لما أمرتُ به » ، فلما سمعوا ذلك منه ، أعني حرَسه ، اتّفقوا على قتله ، وقالوا : « جعلنا بمنزلة النّصارى » ، فلما خرج من داره إلى المسجد لصلاة المغرب ، قتلوه في مُصَلاّه (٦٤) .

وولّي يزيدُ بن عبد الملك ، بِشْرَ بن صَفْوان الكَلْبِيّ خلفاً ليزيد ابن مُسلم ، فضرب عنق عبد الله بن موسى بن نصير بيزيد ، وذلك أنّه اتّهم بقتله وتأليب الناس عليه (٦٥) ، وهذا يدلّ على أن بشر بن صفوان ، حقّق في أمر اغتيال يزيد بن مسلم ، فوجد أنّ عبد الله بن موسى كان أحد المؤلّبين على قتله ، أو من أبرز المؤلّبين ، خاصة وأن بشر بن صفوان استصفى بقايا آل موسى بن نُصَير ، ثم وفد على يزيد بن عبد الملك ، فألفاه قد هلك (٦٦) .

وهذه الرواية أقرب الى التصديق ، ومعنى ذلك أنّ عبد الله قد قُتل سنة ثلاث ومائة الهجريّة (٧٢١م) ، وهي السنة التي تولّى فيها بشربن صفوان إفريقيّة والمغرب (٦٧) .

لقد كان عبد الله والياً على إفريقيّة والمغرب لمدة أربع سنوات ابتداء من سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٧١٢م) حتى سنة سبع وتسعين الهجرية (٧١٥م) بصورة مستقلّة ، وكان السّاعد الأيمن لأبيه موسى بن نُصير منذ تولّي إفريقيّة والمغرب حتى غادرها إلى الأندلس فاتحا ، ولاّه أبوه موسى من سنة ثلاث وتسعين الهجرية إلى سنة خمس وتسعين الهجرية (٧١٤م) ،

(٦٤) البيان المغرب (١/٤٨) .
(٦٥) البلاذري (٣٢٣ – ٣٢٤) .
(٦٦) البيان المغرب (١/٤٩) .
(٦٧) البيان المغرب (١/٤٩) .

وأقرّه سليمان بن عبد الملك عليهما بعد استدعاء أبيه موسى من الأندلس إلى دمشق سنة خمس وتسعين الهجرية، حتى عزله سنة سبع وتسعين الهجرّية، (٦٨) فكان إدارياً حازماً، ولا نعلم أنّه قصّر بواجبه والياً.

ولكن نشاطه بعد استدعاء أبيه موسى من الأندلس إلى دمشق، ومحاسبة الخليفة سليمان له حساباً عسيراً، وبعد أن أصبح أبوه من المغضوب عليهم من الخليفة ومَنْ حوله، أصبح نشاطه محدوداً، وكان أقلّ من نشاطه قبل استدعاء أبيه، لأنّه كان يعاني من القلق على مصير أبيه ومصيره ومصير آل موسى بن نُصَير، وكانت نفسيته مجهدة من جراء هذا القلق، كما أنّ تعاون الناس معه والتفافهم حوله اصبح أقلّ من السّابق، لأنّهم كانوا يتوقعون تنحيته عن الولاية بين يوم وآخر، والناس دائماً مع (الواقف)الذي تكون الأيام معه له لاعليه.

والمعلومات عنه في المصادر المعتمدة إنساناً، شحيحة جداً، فلا نعلم متى ولد، وما هي سماته إنساناً، ولا عَدَد أولاده، ولا تفاصيل إنجازاته إداريا، فهناك نوع من التّعتيم على تفاصيل حياة أبناء موسى بن نُصَير، ونوع من الغيوم الداكنة التي تحجب تفاصيل حياتهم، ولعلّ غضب الخلافة على موسى بن نصير، كان له أثر في قلة المعلومات عن أبنائه، وله تأثير في المؤرخين الذين لم يذكروهم إلاّ نادرا.

والذي نعرفه عن عبد الله، أنّه كان أكبر إخوته، وقد عرفنا من إخوته: عبد العزيز الذي استخلفه موسى على الأندلس، وعبد الملك الذي الذي استخلفه على سَبْتَة وطَنْجَة وما والاهما(٦٩) وعبدالأعلى الذي فتح بعض مدن شرقيّ

(٦٨) تاريخ خليفة بن خياط (٣٢٤/١).
(٦٩) ان الأثير (٥٦٦/٤).

الأندلس وجنوبيّ شرقيها (٧٠) ، ومروان الذي رافق أباه إلى دمشق(٧١) .

وكان موسى بن نُصير من التابعين(٧٢) ، فابنه عبد الله من تابعي التابعين ، رضوان الله عليهم اجمعين .

وليس عبد الله وحده ، خدم بلاده ، وأمته إدارياً وقائداً ، وجندياً وفاتحا ، ثم قابله قومه بالعقوق ، وعاقبوه على إحسانه بالاغتيال والنسيان ، فهو أحد الذين تخلّى عنهم الناس لأنّ النّظام السّائد تخلّى عنهم ، متناسين جهاده وجهوده وفتوحه، ولعلّ ماضيه المجيد أصبح وبالاعليه ، فسقط مضرّجاً بدمائه بسيوف لم تضرِّج عدوّاً في ساحات الجهاد وضرَّجت مجاهداً فاتحاً في بيت من بيوت الله .

إنّه حلقة من سلسلة طويلة جداً ، تلقّى أصحابها العقوق والنسيان ، جزاء ماقدّموه من جهود وإحسان .

القائد

مفتاح شخصيّة عبد الله قائداً ، يكمن في شجاعته الشخصيّة وإقدامه ، فقد تولّى قيادة حملة تأديبية في البحر مرتين : الأولى سنة خمس وثمانين الهجرية (٧٠٤) على قاعدة الرُّوم في صِقِلِّيَة . والثانية سنة سبع وثمانين الهجرية (٧٠٥م) على قاعدة الرُّوم في سَرْدَانِيَة ، وكانت الحملتان التأديبيتان البحريتان على الرُّوم في قواعدهم الأماميّة المتقدّمة .. التي ينطلقون منها للتعرض بالمسلمين الفاتحين في شمالي إفريقيّة ، على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، ناجحتين

(٧٠) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح الأندلس وفي هذا العدد من المجلة .
(٧١) البيان المغرب (١/٤٤) .
(٧٢) تاريخ العلماء والرواة بالأندلس (٢/١٤٤) وجذوة المقتبس (٣١٧) وبغية الملتمس (٤٤٢) ووفيات الأعيان (٤/٤٠٢) والبداية والنهاية (٩/١٧١) .

للغاية ، أعطى بهما عبد الله درساً للرُّوم لن ينسوه ، هو أنّ تعرّضهم بالمسلمين لن يمرّ بدون عقاب وأنّ من الخير لهم أن يتخلّوا عن تعرّضهم بالمسلمين ، لأنّه لايفيدهم في استعادة ما خسروه من مناطق في إفريقيّة فحسب ، بل يعرّضهم لخسارة مناطق جديـدة يمتلكونـها في البحـر ، كجزر البحـر الأبيض المتوسـط وعـلى رأسـها جزيـرتا : صقلّية وسـردانية ، أكبر قاعدتين أماميتين متقدمتين لهم في جزر البحر الأبيض المتوسط .

ومن الواضح ، أنّ اقتحام البحر ، وقيادة حملة بحريّة ، من قائد لم يَعْتَد ركوب البحر ولامعاناة أهواله ، للهجوم على عدو مارس حروب البحر واعتاد عليها ، بحاجة ماسة إلى قيادة شجاعة مقدامة ، لا تخشى أهوال تلك الحرب ، ولا تجهل مشاقّها ومعضلاتها ، وتُعدَ العُدَّة لمجابهة المشقّات وحلّ المعضلات .

ومن الصّعب على قائد عام ، كموسى بن نُصير ، أن يولّي ابنه البكر عبد الله ، قيادة بحرية دون أن يكون واثقاً من قابليّات ولده وكفاياته واقتداره ، وأنّه سيكون عند حسن ظنّه به قائداً منتصراً ، وعند حسن ظن المسلمين به قائداً لا يغرّر بأصحابه ، ولايقودهم إلى المهالك ، بل يحرص على أرواحهم حرصه على روحه ويقودهم إلى النصر . وإلا ، فما من والد يمكن أن يغررّ بابنه ، ويغررّ بالمسلمين ، ويعرّضه ويعرّضهم لخطر داهم ، إلا إذا كان واثقاً كلّ الثقة بابنه ، لأنّ الحرب ، وبخاصة البحرية منها ، ليست نزهة من النزهات .

وما قصّر موسى بن نُصير في تأديب ابنه عبد الله وسائر أولاده وتعليمهم وتدريبهم ، ثم بدأ بتزويد عبد الله بالتجربة العملية على القيادة والادارة ، التي لايمكن أن تؤتي ثمراتها ، مالـم يكـن المجـرّب متّسماً

بالمزايا القيادية المعروفة ، والتجربة العملية لها دور في صقل تلك المواهب والمزايا وترسيخها وتنميتها . أما إذا كان المرء محروماً من المزايا القيادية ، فلن تجديه التجارب العملية في ميادين القتال شيئاً ، فكأنه يضرب على حديد بارد ، أو يغرس الزهر في الصحراء .

فما هي سمات عبد الله القيادية ، التي صقلها ورسخها ، ونمّاها بتجاربه العمليّة الميدانية براً وبحرا ؟

لقد كان ذكياً فطناً ، لذلك كانت : قرارته صحيحة وسريعة ، وكان : شجاعاً مقداماً لايهاب الموت يتحمّل المسئولية كاملة ولا يلقيها على عواتق الآخرين تهرّباً منها ، يتحلى بالارادة القوية الثابتة ، فلايحيد عن قراره إذا اقتنع بسلامته ولا يتخلّى عنه ، له نفسية لا تتبدّل في حالتي النصر والاندحار واليُسر والعُسر ، يسبق النظر ويتوقع ما يمكن أن يقع ، ويعدُ لكلّ ما يحتمل وقوعه الحلول المناسبة مبكّراً ، يعرف نفسيات رجاله ويضع الرجل المناسب في الواجب المناسب ، يثق برجاله ويثقون به ويحبهم ويحبونه ، ويثق بقيادته العليا وتثق به ويحبها وتحبه ، ويتمتّع بشخصية قوية نافذة لاتضعف ولا تستكين ، ولكنّها لا تظلم ولا تجور ، له قابلية بدنية متميزة لأنّه كان في ريعان الشباب وفي أوج عطائه . وله ماضٍ ناصع مجيد ، فهو ابن موسى بن نُصَير فاتح شطر المغرب وشطر الأندلس ، وهو أيضاً من القادة الفاتحين والولاة اللامعين .

وكان يطبّق مبادئ القتال كافة بصورة تلقائية . فكان يختار مقصده ويديمه حتى يحققه دون أن ينساه لحظة واحدة أو يتناساه ، وكان قائداً تعرّضياً : لم يتّخذ الدفاع أسلوباً قتالياً له أبدا ، وكان يباغت أعداءه في عملياته ، كما باغتهم في صقلّية وسردانية بالهجوم عليهم في وقت لا يتوقّعونه ، وكما باغت البربر الخارجين على الفاتحين بالهجوم الصاعق عليهم في وقت لا يتوقّعونه

أيضاً . وكان : يحشد قوته ما استطاع إلى ذلك سبيلا ويستخدمها في المكان والزمان الجازمين . ولكنّه كان يقتصد بالمجهود ،فلا يفـرِّط برجاله دون مسوِّغ ، ولايغرر بهم ، ويحرص على أراوحهم حرصه على روحه .

وكان يطبـِّق مبدأ : الأمن ، فلانعرف أنّ العدواستطاع مباغتة قوّاته فيٍيوم من الأيام ، وهذا دليل على أنه كان يؤمِّـن لقـّواته الحماية الـّلازمة ، ويجمع المعلومات عن العدو بالتفصيل ، ويعمل وهو مفتوح العينين . وكانت خططه : مرنة ، من ناحية سرعة تنقّل قوّته برّاً وبحراً ، ومن ناحية إمكان تبدّلها أو تحويرها أو تطويرها في الوقت المناسب . وكان : يديم معنويات رجاله ، بالعقيدة الراسخة ، القيادة القادرة المتّزنة ، والنصر المبين . وكانت : أموره الادارية ، جيدة ، ولا نعلم أنّ رجاله شكوا من نقص أمر من أموره الادارية كافة . كما كان مسئولاً عن إدامة قـّوات الفتح بالأندلس بالرجال والمواد الادارية والسفن والمراكب ، لأنه المسؤول الاداري في قاعدة المسلمين الرئيسة : إفريقيـّة والمغرب .

وكان يطبـِّق مبدأ : المساواة ، بينه وبين رجاله ، فيعيش بينهم كفرد منهم ، لا فرق بينه وبينهم فيٍشيْ يميـِّزه عنهم ، ولا يمكن أن ننسى موقفه من أحد الذين تولوا إفريقيـّة والمغرب بعد عزله ، والذي أراد أن يتميّز حـُرّاسه على سائر المسلمين بعلامات خاصة وشارات معيـّنة ، فاستنكر عبد الله هذا التّمييز ، وضحّى بحياته من أجل استنكاره ، فاذا لم يكن هو الذي قاد حملة الاستنكار التي أدّت إلى قتل ذلك الوالي ، فهو على الأقل كان من من أبرز قادة تلك الحملة .

وكان يؤمن بمبدأ : الشّورى ، فيستشير ذوي الرأي من رجاله في كلّ مشكلة تصادفه ، ويتعاون معهم لإيجاد الحلّ النّاجع لها .

تلك هي مجمل مزايا عبد الله قائدا ، ويبدو أنّ عبد الله شـُغل في أيام

والده بأمور إفريقيّة والمغرب الادارية . فشغلته أمورهم عن التفرّغ للفتح ، وكان موضع ثقة أبيه موسى الكاملة ، فلم يستطع أبوه موسى أن يوكل أمر إفريقيّة والمغرب إلى غيره ، فوجّه طاقاته كلّها في عمله واليا ، وتفرّغ تقريباً تفرّغاً كاملاً لهذا الواجب الاداري .

وفتوحه في البر والبحر ، على أهميتها لحاضر إفريقيّة والمغرب ومستقبلها . إلاّ أنّها كانت قليلة جداً بالنسبة لكفاياته القيادية ، فهي ومضات ساطعة متقطعة ، أظهرت شيئاً من كفاياته القيادية ومزاياه ، دون أن تُظهر تلك الكفايات والمزايا كاملة ، في فتوحات كثيرة مستدامة وفي انتصارات عديدة مؤزّرة .

ولم يكن وضعه النفسي مريحاً ، بعد رحيل أبيه موسى إلى دمشق ، وبعد أن أنكشف أمر أبيه موسى في أضطهاده من الخلافة ، وأن موسى وأبناءه أصبحوا من المغضوب عليهم من السّلطة الحاكمة ، وأصبحوا في ذمة التاريخ ، فجمّد طاقاته انتظاراً لمستقبل مجهول ، لا يكون لصالحه على كلّ حال .

إنّ ظروف عبد الله ، لم تُتِحْ له استغلال كفاياته قائداً كما ينبغي ، وما كان ليستطيع غيره من القادة ، في مثل ظروفه التي عاناها ، في عهد أبيه موسى وبعد رحيل أبيه ، أن يُنجز ، أفضل ممّا أنجزه عبد الله في مجال الفتوح ، فقد أصبح رغم إرادته والياً ، وكان يتمنّى أن يكون غازيا ، ولكن ماكلّ ما يتمنّى المرء يدركه .

ومهما قيل في ظروفه التي شغلته حيناً ، وأقلقته حيناً ، وصرفته عن العمل حيناً آخر ، فانّ فتوحه في البّر والبحر ، تدلّ على أنّه كان قائداً متميّزا .

وقد برزت مزيتان من مزايا القيادة الرئيسة في عبد الله ، بشكل واضح لاغبار عليهما : العلم المكتسب ، والتجربة العملية .

وبقيت المزية الثالثة : الطبع الموهوب ، حالت ظروفه دون ظهورها ، فلا أعرف هل كان يتمتّع بهذه المزيّة حقّاً ، وهي مزية تكشفها الفتوحات العظيمة والانتصارات الباهرة فقط .

عبدالله في التـاريخ

يذكر التاريخ لعبد الله ، أنّه كان أكبر أولاد موسى بن نُصَير ، وأنّه كان ساعده الأيمن في معونته والياً وقائداً .

ويذكر له ، أنّه تولّى إفريقيّة والمغرب نحو أربع سنوات ، ثلاث سنوات منها في أيام أبيه موسى ، بعد عبوره إلى الاندلس فاتحاً ، وسنة واحدة بعد استدعاء أبيه موسى من الأندلس إلى دمشق . فقام بواجبه إدارياً على أحسن مايقوم به الولاة القادرون .

ويذكر له ، أنّه تولىّ القيادة في إفريقيّة ، ففتح فتوحاً واسعة ،وقضى على انتقاض البربر في مناطق فتوحه ، وغنم غنائم جسيمة .

ويذكر له ، أنّه تولّى القيادة البحرية ، ففتح مَيُورْقَة ومَنُورَقَة ، وأغار على صقليّة وسَرْدَانَية ، وانتصر في معاركه البحرية انتصارات باهرة ، وغنم غنائم كبيرة ، وضمن حماية ساحل إفريقيّة والمغرب في حاضرها ومستقبلها :

ويذكرله أنّه أشرف على القاعدة الرئيسة في القيروان ، وقواعد المغرب في سَبْتَة وطَنْجَة وتُونْس ، لإدامة الفتوح الأندلسيّة ، وأمدّ الفاتحين بالرجال والمواد والمراكب لادامة زحم الفتوح، وضمان استمراريّة الانتصارات .

ويذكر له ، أنّه كان قائد أوّل غزوة غُزيت في بحر إفريقيّة ، المواجه للسّاحل الافريقيّ الذي فتحه المسلمون ، وحافظوا عليه بالسيطرة الكاملة على البحر الأبيض المتوسِّط ، وبفتح جزر البحر التي يستخدمها الروم

قواعد أماميّة متقدمة ينطلقون منها للتّعرض بالمسلمين في إفريقيّة والمغرب ، وبانتاج السُّفن والمراكب البحرية بالمصانع الاسلاميّة .

ويذكرله ، أنّ ظروفه حرمته من إظهار كفاياته القيادية ، في الفتوح المستدامة والانتصارات الباهرة .

ويذكر له ، أنّ أعماله إدارياً وقائداً ،في خدمة بلاده وأمتّه ، قوبلت بالعقوق، فسقط مضرجاً بدمائه بسيوف لم تُضرّج بدماء الأعداءفي ساحات الجهاد .

رحمه الله رحمةً واسعةً ، جزاء ما قدّم لأمته وبلاده من خدمات والياً وغازياً وإدارياً وقائدا ، ومرابطاً ومجاهداً ، فالله وحده لاينسى مَن أحسن عملا .

جزيرتــا
ميورقــة و منورقــة

١ ـ ميورقــة

أكبر الجزر الاسبانّية في البحر الأبيض المتوسّط المعروفة باسم : جزر البليار . مساحتها (١٤٠٥) أميال مربّعة . يتميّز ساحلها الشمالي الغربي بشدّة انحداره ، ولكنه يصبح ساحلاً منخفضاً منحدراً على الجوانب الأخرى .

وتمتدّ في الجبهة الشمالية الغربية سلسلة جبال تسير موازية للساحل ، ويصل أقصى ارتفاعها عند قمّة (سيلودى تور ياس) نحو (٥١٥٤) قدماً .

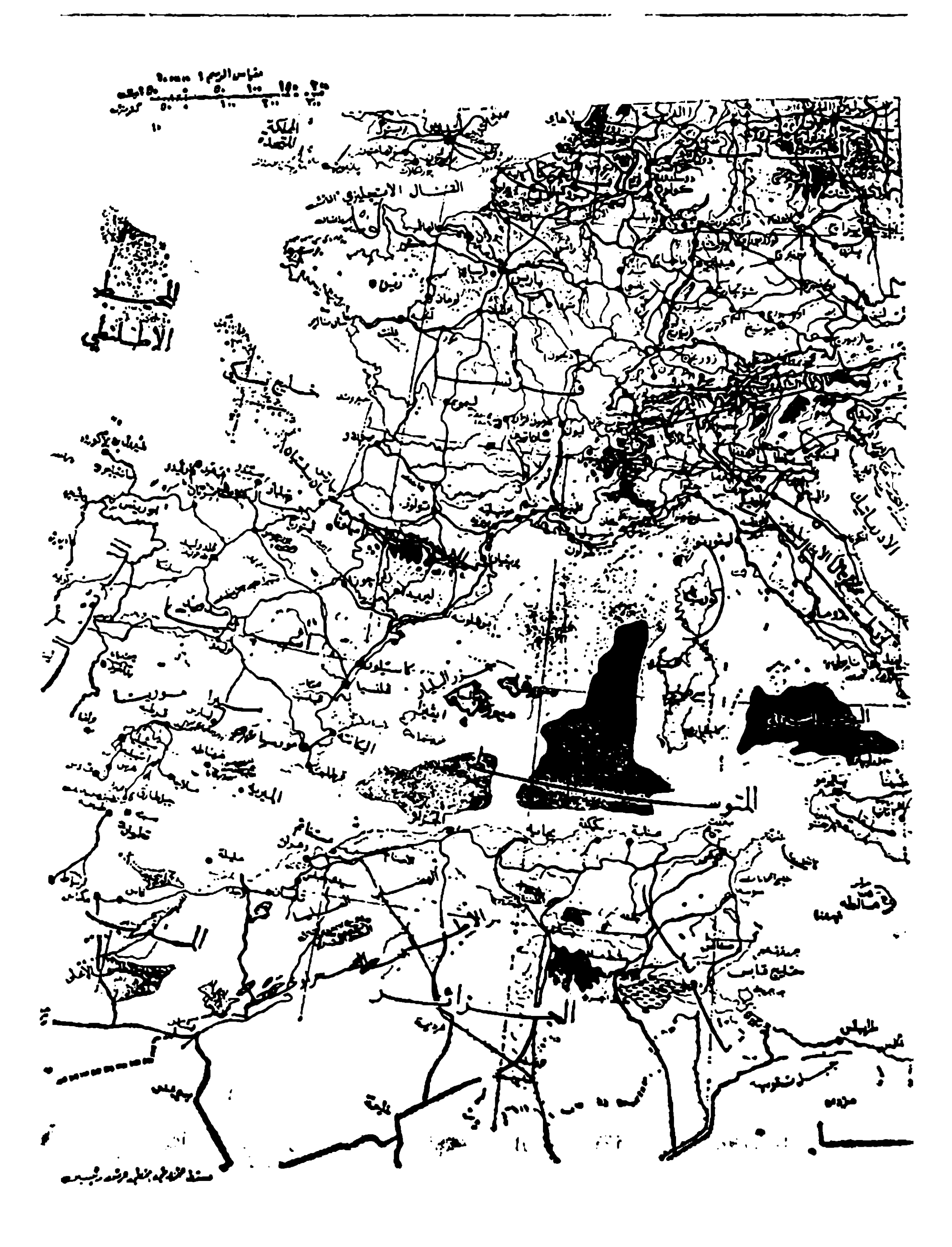
وتزدهر النباتات في أوديتها ، ولاسيما وادى موسى ووادى سوير ، كما توجد في الجزيرة مقالع للرخام ، وتوجد المعادن مثل الرصاص والحديد والفحم ، ويعمل السكّان بالزراعة ، وتشتهر الجزيرة بزراعة الكروم ، كما تشتهر بصناعة الأقمشة الصوفيّة والكتانيّة ، وتربّى في الجزيرة دودة القزّ ، وتُصنع منتجاتها .

٢ ـ منورقــة

الجزيرة الثانية من حيث المساحة في مجموعة جزر البليار الاسبانية الواقعة في البحر الأبيض المتوسِّط ، وتقع على مسافة سبع وعشرين ميلاً في شمال شرقي جزيرة ميورقة ، مساحتها (٢٧١) ميلاً مربعاً ، وساحلها مضرّس بشدّة ولا سيما في شمالي الجزيرة ، تنتظمة مجموعة الأنهار والخلجان ، مناخها لايضاهي مناخ ميورقة في اعتداله إذ تتعرّض الجزيرة في الخريف والشتاء الى رياح شمالية شديدة . تشمل زراعتها إنتاج محاصيل العلف والكروم والزيت والكتان ، كما تزرع فيها أشجار الفاكهة . وتربيّ الماشية والأغنام والماعز. ويستخرج الرخام الجيد من جبالها ، ومعادنها تشمل الحديد والرصاص والنحاس .

وتقوم فيها صناعة المنسوجات الصوفيّة والكتانيّة والألياف .





الفهرست

سعر النسخة دينار ونصف وتضاف اليها اجرة البريد
تدفع قيمة الاشتراك سلفاً

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٧٦ لسنة ١٩٨٩

مجلة المجمع العلمي العراقي



الجزء الثاني ـ المجلد الاربعون

بغداد

١٤١٠هـ = ١٩٨٩م

مجلة المجمع العلمي العراقي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م



توجه الرسائل والبحوث الى مدير التحرير

البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء اصحابها .

المقالات لا ترد الى اصحابها نشرت او لم تنشر .



العنوان : الوزيرية/بريد الأعظمية/ص.ب ٤٠٢٣

بغـداد ــ العراق

